الإسلام
وتربية الأطفال والشباب

بسم الله الرحمن الرحيم

دراسات
إسلامية
20

الإسلام
وتربية الأطفال والشباب

الأستاذ الدكتور محمد الزحيلي
وكيل كلية الشريعة للشؤون العلمية
بجامعة دمشق

دار المكتبي

الطبعة الأولى
1418 هـ - 1998 م

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أوالنسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص. ب. ٣١٤٢٦ هاتف ٢٢٤٨٤٣٣ فاكس ٢٢٤٨٤٣٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة وتمهيد

الحمد لله حق حمده ، والصلاة والسلام على معلم الخير ، ونبي الرحمة المهداة ، سيدنا محمد ﷺ ، وعلى آله وأصحابه ومن تبع هداه إلى يوم الدين .

وبعد : فقد أنزل الله الإسلام إلى البشرية لتحقيق مصالحهم في الدنيا والآخرة ، في العاجل والآجل ، وذلك بجلب النفع لهم ، ودفع الضرر عنهم ، فما من مصلحة في الدنيا والآخرة إلا وقد رعاها الشرع الحنيف ، وأوجد لها الأحكام التي تكفل إيجادها وصيانتها والحفاظ عليها ، وما من مفسدة في الدنيا والآخرة ، في العاجل والآجل ، إلا وبيَّنها للناس وحذرهم منها ، وأرشدهم إلى اجتنابها والبعد عنها ، لتحقيق خلافة الله في الأرض ، وتأمين السعادة للبشرية .

ولهذا اهتم الإسلام بالنفس الإنسانية ، وأولاها الرعاية الكاملة بالتربية التي تشمل الفرد والمجتمع ، وتتناول جميع مراحل الإنسان : وليداً وطفلاً وشاباً وكهلاً وشيخاً كبيراً ، وخاطب العقل بالأحكام للتهذيب والتربية ، وفطر الذات الإنسانية على قبول التربية والتعليم ، وجعل فيها وازعاً ذاتياً من الضمير ، وأقام عليها قيِّماً دائماً من العقل ، وأرسل الأنبياء والمرسلين معلمين ومربين ، ومرشدين ودعاة ، وأنزل الكتب ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم ، إلى صراط العزيز الحميد ، وفرض العلم على الناس ، وطلب منهم التعلم والتعليم ، وقال رسول الله ﷺ : « ليس مني إلا عالم أو متعلم »[1] ، وبيَّن الإسلام بالدقة والتحديد طريق التربية والتعليم ، وعين الأشخاص المكلفين بالقيام بذلك ، وحصر المسؤولية الكاملة ، فقال رسول الله ﷺ : « كلكم راعٍ ، وكلكم مسؤول عن رعيته ، الأمير راع ، والرجل راع على أهل بيته ، والمرأة راعية على

---

(١) حديث ضعيف ، رواه ابن النجار في تاريخه ، والديلمي ، عن ابن عمر ، (الفتح الكبير ٣/ ٦٨) .

بيت زوجها وولده ، فكلكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته »[1] .

واهتم الإسلام اهتماماً خاصاً بالأطفال والشباب ، لأنهم مناط التربية ، ومحل التعليم ، وهم الأهل المتسحقون للتربية والتعليم أكثر من غيرهم لتحقيق الهدف الكامل فيهم ، ولأن مسؤولية التربية والتعليم بالنسبة للأطفال والشباب تقع على غيرهم[2] ، ولأن الأطفال والشباب هم جيل المستقبل ، وأمل الأمة ، وبمقدار الرعاية بهم ، والعناية بشؤونهم يتحدد مصير الأمة والمجتمع والوطن والإنسانية في التقدم أو التأخر .

وتقع مسؤولية التربية في الإسلام ، وبمقتضى أصول التربية الحديثة ، على ثلاث جهات أساسية ، وهي البيت والمجتمع والمدرسة ، وهذا في مرحلة الطفولة والصبا ، ويضاف إليها مسؤولية الشاب نفسه بعد النضج والبلوغ ليرعى

---

(١) حديث صحيح ، رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وأحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما ، (فيض القدير ٥/ ٣٨) .

(٢) تنحصر مسؤولية الكبار على أنفسهم ، مع واجب النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لهم وعليهم .

شـؤون نفسـه ، وينمـي الأشجـار التـي غـرسهـا الآبـاء والمعلمون ، ويسقي النبات الذي زرعه المجتمع بوسائله المختلفة .

وهذا ما نريد بيانه وتوضيحه ، فنبين مسؤولية الآباء عن تربية الأولاد ، مع توضيح منهج الإسلام في تربية الأولاد ، ثم نذكر وظيفة المجتمع في التربية ، ونحدد أهمية المدارس وأجهزة التعليم في التربية الإسلامية ، وأخيراً نلقي الضوء على رعاية الإسلام بالشباب ، وبيان أهم الأحكام التي خصهم بها . وبالله المستعان .

أولاً : مسؤولية الوالدين عن تربية الأولاد :

نقدم بين يدي هذا الموضوع فضل الله تعالىٰ في منح الأولاد ، وأنهم هبة من الله تعالىٰ ، كما أنهم أمانة في عنق الوالدين .

١ـ الأولاد هبة من الله تعالىٰ :

إن من الآيات الجليلة الدالة على عظمة الله تعالىٰ وقدرته أن خلق الناس من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، ثم منح

الزوجين الأولاد والذرية ، فقال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾

[النساء : ١]

وإن منح الذرية من الأبناء والبنات نعمة جلى من الله تعالىٰ ، يستحق عليها الشكر الجزيل ، والثناء الدائم ، لأن الذرية أمل البشرية منذ وجدت ، وستبقى كذلك حتى تقوم الساعة ، للمحافظة على بقاء الجنس البشري ، وإن الأزواج يتطلعون ـ بسرعة عقب الزواج ـ إلى الذرية الطيبة ، ويرقبون العلامات الدالة على الإنجاب ، ويستبشرون بها ، حتى يحققوا رغبتهم ، وتقر أعينهم بالبنين والبنات ، ويسألون الله تعالىٰ ذلك ، فإن تأخرت قرائن الحمل استغاثوا الله الخالق البارىء ، واستنجدوا به ، وضربوا في مشارق الأرض ومغاربها لاتخاذ الأسباب اللازمة للإنجاب ، وهذه سنة الله في الناس ، وهذه هي فطرتهم مهما اختلفت أجناسهم وألوانهم وأزمانهم وأماكنهم ، قال تعالىٰ على لسان سيدنا زكريا : ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ [آل عمران : ٣٨] . وقال تعالىٰ على لسان زكريا أيضاً : ﴿ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى

عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [مريم : ٥ـ٦] .

وإن هبة الأولاد من الله تعالىٰ نص عليها القرآن الكريم ، وربطها بملك السموات والأرض والتصرف فيهما كما يشاء ، فقال تعالىٰ : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝٤٩ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى : ٤٩ـ٥٠] . وقد وردت الآيات الكثيرة التي تؤكد نعمة الله تعالىٰ على البشرية بالذرية الصالحة الطيبة ، فقال عَزَّ وجَلَّ : ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [الكهف : ٤٦] . وقال تعالىٰ : ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ﴾ [النحل : ٧٢] . وهذه النعمة ذات أثر عظيم على الإنسان ، وتلتقي مع فطرته وغريزته ، فإذا بُشر الناس بالمولود تلألأت وجوههم بالبشر والفرح والسرور ، وامتلأت قلوبهم بالسعادة والحبور ، وانتظروا من الأهل والأصدقاء والجيران التهنئة به ، لأن مولود اليوم ، هو رجل المستقبل ، وأمل الوالدين ، وذخر الأمة ، والطفل امتداد لحياة الإنسان على

الأرض ، وهو فرع من شجرته ، وثمرة من غراسه ، ولا يتمنى أحد أن يكون غيره أحسن منه إلا أن يكون ولده .

٢ـ الأولاد أمانة في عنق الوالدين :

وعند الوصول إلى هذا الأمل تهدأ النفوس ، وترتاح القلوب ، وتتعلق المهج بالمولود الجديد الذي خلقه الله تعالىٰ ، ومنحه للوالدين كرماً وفضلاً ، ولم يكن لهما حولٌ ولا طول في خلقه وإيجاده ، فهو أمانة في أيديهم ، ويحتمل أن يسترد صاحب الأمانة وديعته ، أو أن يترك الولد بين أهله فترة ـ طالت أو قصرت ـ ليرعوا حق الله تعالىٰ فيه ، ويحافظوا عليه ، ويطبقوا عليه شريعته وأحكامه ، وهذا حق للولد على والده ، وبعبارة أخرى فهي واجبات على الوالد ، يجب عليه القيام بها ، وإذا قوي ساقه ، واشتد عوده ، وجب عليه حسن التربية والتوجيه والتهذيب والتعليم ، وهذا أهم واجب على الآباء والأمهات تجاه الأولاد ، ولذلك يؤكد القرآن الكريم هذا الشأن عند الوالدين فيأمرهم برعاية الأولاد ، ويوصيهم بالحفاظ عليهم ، فيقول تعالىٰ : ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾ [النساء : ١١] .

٣ـ تكليف الوالدين بواجب التربية :

يولد الطفل على الفطرة ، ويفتح عينيه على الحياة ليرى أمه وأباه يحوطانه بكل شيء ، وينظر إلى الوجود من خلالهما ، ويبصر الكون بأعينهما ، ويستقر في قرارة نفسه أن الأب والأم هما كل شيء في العالم ، فيستمد منهما العطف والحنان ، ويتوجه إليهما للحماية والرعاية ، ويلجأ إليهما في كل صغيرة وكبيرة ، وتنساب أسئلته بالاستفسار كالسيل المدرار ، حتى يعجز كثير من الآباء والأمهات عن الجوابْ ، ويقنع الولد بكل جواب ، ويصدق ـ بجزم وبدون ريب ولا شك ولا تردد ، ولا تحفظ ولا مناقشة ـ كل ما يسمع من والديه ، مهما كانت الأفكار سخيفة أم رائعة ، كاذبة أم صادقة ، ويكون عقل الطفل في مرحلة الطفولة الأولى كالطين ، يمكن للأب أن يشكِّلَه كما يشاء ، وتكون نفسه كالصفحة البيضاء ، تخط فيها الأم ما تشاء ، وتثبت عليها ما تريد ، ويمتاز الطفل ـ في هذه المرحلة ـ بحب التقليد والمحاكاة لتحركات والديه وتصرفاتهما ، لذا يتحمل الوالدان المسؤولية الأولى عن تصرفات أولادهما في الصغر ، كما

يتحملان المسؤولية الأولى عن التربية والإعداد والتثقيف والتوجيه لما يحبه الله ويرضاه ، وقد خصهما رسول الله ﷺ بهذه المسؤولية في الحديث السابق : « والرجل راع في أهله ، وهو مسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها وولده ، وهي مسؤولة عن رعيتها » .

فالمسؤولية على الوالدين عظيمة ، وتترتب عليها نتائج خطيرة في الدنيا والآخرة ، فيلتزم الوالدان أن ينشئا أولادهما على الإيمان الكامل ، والعقيدة الصحيحة ، وأن يعوداهم على التكاليف الشرعية والآداب الإسلامية ، والأخلاق الفاضلة .

وإن إعداد الجيل المؤمن الصالح يقع على عاتق الآباء والأمهات ، لأن الطفل ينظر إلى والديه ، وكأنهما المثل الأعلى ، ويلتف حولهما ، ويطرح عليهما كل الأسئلة ، ويعتقد أنهما يحوزان العلم اللدني ، وأنهما كل شيء في الوجود ، فهم الأنا الأعلى بالتعبير التربوي الحديث ، ويتلقى الطفل منهما في بدء حياته كل توجيه ، لقناعته الكاملة بكل ما يقولان ، وتسيطر على أحاسيسه تعابير والديه ، ولا يقتصر الأمر على التوجيه المباشر ، بل يقلد والديه في الأشياء

الكثيرة سواء كانت حسنة أم سيئة ، بطريق مباشر أم غير مباشر ، ويستحوذ على فكره اللا شعوري كثير من تصرفات الوالدين في الرضا والغضب ، في الحب والكره ، في السعادة والشقاوة .

وإن هذه الظروف العامة المحيطة ، والقناعات المطلقة ، لا تتوفر في أية مرحلة أخرى من مراحل التربية ، كما تتوفر للطفل في أسرته ومع والديه ، بالإضافة إلى الدوافع الفطرية بالمحبة المتبادلة ، والتضحية اللا متناهية من الآباء والأمهات لأولادهم ، وأنهم أمل المستقبل ، وسبيل البقاء والاستمرار ، لذلك كانت مسؤولية الوالدين في التربية أول المسؤوليات وأهمها أمام الله تعالىٰ .

وقد صرح رسول الله ﷺ بوظيفة الوالدين في تربية الأولاد ، فقال عليه الصلاة والسلام : « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه »[1] ، وخاطب رسول الله ﷺ الآباء والأمهات ، ومن يقوم مقامهم

---

(١) رواه مسلم ، وأبو يعلى في مسنده ، والطبراني في الكبير ، (فيض القدير ٥/ ٣٣) .

في تطبيق الأحكام الشرعية المتعلقة بتربية الأولاد ، فقال عليه الصلاة والسلام في مجال التربية البدنية مثلاً : « علموا أولادكم السباحة والرماية والمرأة المغزل »[1] ، ورغب رسول الله ﷺ الوالدين بتأديب الأولاد ، وأنهما يكسبان الأجر والثواب عند رب العالمين ، فقال عليه الصلاة والسلام : « ما نحل والد ولداً أفضل من أدب حسن »[2] ، وعن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لأن يؤدب أحدكم ولده خير له من أن يتصدق كل يوم بنصف صاع على المساكين »[3] ، وعن ابن عباس رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُما قال : قالوا : يا رسول الله ، قد علمنا ماحق الوالد ، فما حق الولد؟ قال : « أن تحسن اسمه ، وتحسن أدبه » ، وقال عبد الله بن عمر : « أدب ابنك ، فإنك مسؤول عنه ، ماذا أدبته ، وماذا علمته ، وهو مسؤول عن برك ، وطواعيته لك » .

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمر ، (فيض القدير ٤/ ٣٢٧) .

(٢) رواه الترمذي والحاكم عن عمرو بن سعيد ، (فيض القدير ٥/ ٥٠٣) .

(٣) رواه الترمذي عن جابر بن سمرة ، (فيض القدير ٥/ ٢٥٧) .

فإن تخلى الآباء والأمهات عن ذلك فقد لحقهم إثم كبير ، ووباء عريض ، ونالوا خسارة جسيمة ، وخانوا الأمانة التي وضعها الله في أيديهم ، وأضاعوا الوديعة التي كلفهم الله بحفظها ، وتحملوا مسؤولية ذلك في الدنيا والآخرة ، لذلك حذر القرآن الكريم الآباء والأمهات من ذلك ، ونبههم إلى خطره ، وأنهم مسؤولون عن أهلهم كمسؤوليتهم عن أنفسهم بترك المعاصي وفعل الطاعات ، فقال تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ﴾ [الإسراء : ٣١] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم : ٦] . قال الإمام علي كرم الله وجهه : أي علموهم وأدبوهم ، وقال الحسن البصري : مروهم بطاعة الله ، وعلموهم الخير[1] .

قال بعض أهل العلم : « إن الله سبحانه وتعالى يسأل الوالد عن ولده يوم القيامة قبل أن يسأل الولد عن والده ، فوصية الله للآباء بأولادهم سابقة على وصية الأولاد بآبائهم ،

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٤/ ٣٩١ ، تحفة المودود ص١٣٤ ، طرق تدريس التربية الإسلامية ، لناص ٢٩ وما بعدها .

قال تعالى : ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾ [النساء : ١١] . وقال رسول الله ﷺ : « اعدلوا بين أولادكم في النحل كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البر واللطف »[١] .

ثانياً : آثار مسؤولية الوالدين في التربية :

وبناءً على هذه النصوص الواضحة الصريحة في مسؤولية الوالدين ندرك الإثم العظيم الذي يرتكبه بعض الوالدين في هذا العصر ، فإنهم يهملون تربية الأولاد ، ويتركونهم يعبثون بالأخلاق ، ويهدرون القيم ، ويتخلقون بعادات الغرب وتقاليده ، ويسارعون إلى اقتناص « الموضات » الأجنبية ، ويتشكلون بأشكال الهمجية والوحشية والبدائية من إطالة الشعر ، وإهمال النظافة ، والارتماء على الأرصفة ، والاختلاط المشين في الحفلات والندوات ، وإرواء الغرائز والشهوات بدون قيد ولا شرط ، والتخنث والترجل ، ويصدق عليهم حديث رسول الله ﷺ : « لتتبعنَّ سنن الذين

---

(١) رواه الطبراني في الكبير ، وابن حبان عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما (فيض القدير ١/ ٥٥٧) .

من قبلكم ، شبراً بشبر ، وذراعاً بذراعٍ ، حتى لو دخلوا جحر ضبٍ لاتبعتموهم ، قلنا : اليهود والنصارى؟ قال : فمن؟! »[1] .

وقد يصل الأمر إلى الظهور بهذه الأشكال أمام الآباء والأمهات الذين يدَّعون الدين والتدين ، ويتظاهرون بالإسلام ، دون أن تتحرك عواطفهم بالاستنكار ، أو تهتز أفئدتهم بالسخط ، أو ينطق لسانهم بنصح أو وعظ أو إرشاد ، وإن أنكر أحد الآباء على بعض ولده ، ووجهه إلى الصواب ، فربما أعرض الولد ، ولم يستجب ، وما ذلك إلا من التقصير في التربية على خلق الإسلام وسلوكه .

يقول رسول الله ﷺ : « كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت »[2] ، فهذا الابن الذي رعاه أبوه صغيراً ، وسهر عليه الليل والنهار ، وكدّ وكافح في سبيله ، وسعى وكسب له القوت ، وجمع له المال الحلال أو الحرام لتربيته وتنشئته ،

---

(١) رواه البخاري ومسلم وابن ماجه وأحمد عن أبي سعيد ، ورواه الحاكم عن أبي هريرة ، (الفتح الكبير ٣/ ٨) .

(٢) رواه أبو داود والحاكم وأحمد والبيهقي عن ابن عمرو ، (الفتح الكبير ٢/ ٣١٧) .

ليراه غرسة من بعده ، أصلها ثابت وفرعها في السماء ، ويأمل أن يكون ابنه ذِكراً طيباً له ، وامتداداً لحياته ، إذ يخيب ظنه به ، ويفقد رجاءه في سلوكه ، ويصبح الوالد في واد فكري وديني واجتماعي ، ويعيش الابن في وادٍ آخر ، وتنقطع الصلة بينهما ، فيصدق على هذا الابن وصف القرآن الكريم : ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ﴾ [هود : ٤٦] . ويعيش الآباء في صراع عنيف بين الاعتزاز بالأبناء في تحقيق الآمال والأحلام ، وبين الاستنكار من أعمالهم ، وتكرر الصورة العجيبة التي يراها الإنسان في مجتمع اليوم ، وهي من صور التناقضات التي يعيشها المسلمون في ديارهم وأوطانهم ، وهذه الصورة ذات وجهين :

الوجه الأول : أن ترى بعض الآباء والأمهات منغمسين في الحياة المادية ، يغرقون في الملاهي والشهوات ، ويستهينون بالقيم والمبادىء ، ويجاهرون بالكفر والفسوق ، بينما ترى أبناءهم وبناتهم على العكس تماماً : قد منَّ الله عليهم بالإسلام والإيمان ، وسلكوا طريق الهدى والرشاد ، والتزموا الإسلام عقيدة وشريعة ، فكراً وتطبيقاً ، نظاماً وعملاً .

ومسؤولية هؤلاء الآباء والأمهات أمام الله تعالى واضحة

لا لبس فيها ، وخطرهم على المجتمع والأمة جسيم ، فهم يمنعون الخير ، ويأمرون بالمنكر ، وينهون عن المعروف ، وينطبق عليهم قوله تعالىٰ : ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴾ [العلق : ٩-١٠] . ولا تقل جريرة هؤلاء عن جريمة الكفار المعاندين الذين وقفوا في وجه الحق والدعوة إلى الله ، ومنعوا الناس من الدخول في دين الله ، والإيمان برسول الله ، وحالوا بين الضعاف وبين الهدى والنور ، وينطبق على الأولاد دعاء الرسول ورجاؤه أن يخرج من أصلاب الآباء من يوحّد الله ويعبده .

الوجه الثاني : وهو الأكثر شيوعاً ، ويتمثل في تلك الغالبية من جيل الكهول ، رجالاً ونساءً ، الذين يتحلون بأكثر المظاهر الدينية ، بينما ترى أبناءهم وبناتهم من جيل الأطفال والشباب ، يتخلون عن كل شكل أو زي ، أو علامة أو مظهر ، يمت إلى الإسلام بصلة ، ويقلدون الأجانب في كل صغيرة وكبيرة ، حتى يخيل إليك أن عربياً يسير بجانب أمريكي أو روسي ، الأول تعلوه مهابة الإيمان ، ويرتدي بزة الإسلام ، ويحضر الجمعة والجماعات ، والآخر ينسلخ عن تقاليد مجتمعه ، ومبادىء شريعته ، ليخلع على نفسه صورة

الغربي ، كما يخيل إليك أن امرأة مسلمة تسير بمحاذاة فتاة فرنسية أو انكليزية ، الأم محتشمة اللباس ، تغطي رأسها ويديها بالحجاب الشرعي ، وتسدل الستار أحياناً على وجهها ، والفتاة عارية الرأس ، كاشحة الصدر ، كاشفة الساقين ، كأنها عارضة للأزياء .

هذه الصورة شائعة في المجتمعات التي تقطن أرض العروبة والإسلام ، وهي صورة عجيبة في ملامحها ، غريبة عن محيطها ، متنافية مع المنطق والعقل ، وهذا الأمر يرجع إلى مسؤولية الآباء والأمهات عن تربية أولادهم ، ومسؤولية الأمة والمجتمع والدولة عن مناهج التعليم ، ورعاية الجيل الناشىء ، وإعداده إعداداً صالحاً ، بتثبيت العقيدة ، واعتناق الفكر الإسلامي الصحيح ، لإزالة هذا التناقض بين جيل الآباء والكهول ، وجيل الأطفال والشباب ، وإلا كانت المسؤولية كاملة وثقيلة على الأعناق التي تنوء بها الظهور ، وتشيب لها الولدان .

يقول ابن القيم رحمه الله تعالىٰ : « فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه ، وتركه سدى ، فقد أساء إليه غاية الإساءة ، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم ، وترك

تعليمهم فرائض الدين وسننه ، فأضاعوهم صغاراً ، فلم ينتفعوا بأنفسهم ، ولم ينفعوا آباءهم كباراً ، كما عاتب بعضُهم ولده على العقوق ، فقال الولد : يا أبتِ ، إنك عققتني صغيراً فعققتك كبيراً ، وأضعتني وليداً ، فأضعتك شيخاً »[1] .

ثالثاً : منهج الإسلام في تربية الأولاد :

يزعم بعض الناس أنهم قاموا بواجباتهم تجاه أولادهم ، ولم تتحقق غايتهم في التربية ، ويقول آخرون ـ يدفعهم الحقد والنكران والجحود والكفر ، ويسيطر عليهم الفكر الاستعماري والغزو الأجنبي ـ يقولون باستحالة التربية الإسلامية في هذا العصر ، ويتجاهلون التربية الإسلامية ، ويتنكرون لمنهج الإسلام في التربية ، ويأتي فريق ثالث ، يدفعه الإيمان والشعور بالمسؤولية ، يأتي سائلاً عن الطريق التي يتبعها لتربية أولاده ، والوسيلة التي تساعده في إنقاذ فلذات كبده ، ويدور في خلد الجميع أحياناً أن علم التربية من

---

(١) تحفة المودود بأحكام المولود ، له ص ١٣٦ .

العلوم المستحدثة ، وأن مناهج التربية من مبتكرات الغرب في العصر الحديث!!

وقبل الجواب عن هذه الأسئلة نتوجه إلى المسلم فقط لنهمس في أذنه أمراً بدهياً يتعلق بالعقيدة ، وهو أهم من معرفة الأحكام الشرعية ، والمناهج التفصيلية ، وهذا الأمر هو أن الإسلام دين الله الخالد ، وأن القرآن كلام الله المعجز ، وأن الأحكام الشرعية هي من وضع خالق البشر ، الذي يعلم من خلق ، وأن هذا الدين العظيم هو منهج كامل للحياة في مختلف النواحي ، وأن المؤمن يتجة ـ عند كل واقعة ـ إلى كتاب ربه ، وشريعة نبيه ، يستقرئها ، ويستوضح أحكامها ، ويسأل أهل العلم عن الحل والدواء فيها ، وقلبه ممتلىء قناعة ويقيناً بالحل الأمثل ، والدواء الشافي لكل صغيرة وكبيرة ، قال الله تعالىٰ : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء : ٦٥] .

والإسلام الحنيف لم يطلب مجرد التربية من الآباء والأمهات ، ولم يحملهم المسؤولية بدون أن يرشدهم إلى الوسيلة ، ويأخذ بيدهم إلى أقوم الطرق ، بل وضع لهم

نهاجاً كاملاً في تربية الأولاد ، يبتدىء قبل الولادة ، ويصاحب الولد في طفولته ومراهقته وبلوغه وشبابه ، ثم يحدد العلاقة فيما بين الوالدين والولد بعد أن يصبح بالغاً ومكلفاً ، ورجلاً كاملاً ، وإنساناً عاقلاً ، وشاباً سوياً ، أو فتاة راشدة .

وإن ما يشغل المسلم الواعي ، والمؤمن المخلص لدينه في وقتنا الحاضر ، هو كيف يربي أولاده تربية إسلامية سليمة ، وكيف يحفظهم من التيارات الفاسدة ، والمبادىء الهدامة ، والشعارات المستوردة ، وكيف يصونهم من العبث والفوضى ، وكيف يضمن تربية الأجيال القادمة ، لتكون خير خلف لخير سلف ، وتصون لأمتها الكرامة والسؤدد والعزة ، وتحقق لها النصر والتحرير من الاستعمار والاستبداد والغزو الفكري؟؟

والجواب السريع هو أن نستقرىء النصوص الشرعية ، ونتتبع الأحكام الدينية ، لبيان أهم عناصر منهج الإسلام في تربية الأطفال ، مع بيان الوسائل والغايات لكل عنصر ، وهي :

١ـ حسن اختيار الزوجة :

يقول علماء التربية : يجب على الوالد أن يبدأ بتربية ولده قبل الولادة ، ويأتي في قمة العناصر التربوية التي أرشد إليها الإسلام ـ قبل الولادة ـ اختيار الزوجة ، لأن خطيبة اليوم التي يبحث عنها الشاب هي زوجة الغد ، وأم المستقبل ، ومربية الأطفال والأجيال ، والأم هي المدرسة الأولى التي تحضن الطفل ، لترضعه لبان الأدب والتربية ، وترعاه في أول مراحل العمر ، لتغرس في عقله وقلبه البذور الأولى التي ستنمو عند الكبر ، وتصون فطرته عما يفسدها ، مع ما تهب لوليدها من صفات موروثة ، وطباع مفطورة ، ومواهب متأصلة ، فكان حسن اختيار الزوجة من أجل الأولاد أكثر أهمية من بقية العوامل التي تطلب المرأة لأجلها ، ويرشد الرسول الكريم ـ عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ـ إلى ذلك فيقول حكمته البالغة الموجزة : « تخيروا لنطفكم »[1] ، ويقول عليه الصلاة

---

(١) رواه ابن ماجه والحاكم والبيهقي ، ويحسن التنبيه إلى قول آخر يسوقه كثير من الناس في هذا المجال ، وينسبونه إلى الحديث وهو : « إياكم وخضراء الدمن ، قلنا : وما خضراء الدمن؟ قال : =

والسلام : « فاظفر بذات الدين تربت يداك »[1] ، ويقول الشاعر العربي حافظ إبراهيم :

الأمُ مـدرسـةٌ إذا أعـددتهـا أعددتَ شعباً طيبَ الأعراقِ

فالأم هي المربية للأطفال ، والحاضنة للأولاد ، والأمينة على الذرية ، والمكلفة بالإشراف عليهم ، لأنها سترضع الطفل اللبن ، كما سترضعه العقيدة والأخلاق والقيم ، وهي التي تربي العباقرة والمصلحين الذين يتولون دفة الحكم وسفينة الإصلاح وقادة الجيوش ، ورجال الدعوة والفكر ، وبمقدار التوفيق في حسن اختيار الزوجة يكون الوالد قد أرسى حجر الأساس السليم في تربية أولاده قبل الولادة ، مع ما شرعه الإسلام من أحكام خاصة بالحامل والمرضع ، لرعاية الجنين والطفل الرضيع ، فأباح للحامل والمرضع مثلاً

= المرأة الحسناء في المنبت السوء » رواه الدارقطني ، وقال لم يصح من وجه ، والغالب أنه موضوع ، وإن كان معناه حسناً ومقبولاً ، (الفتح الكبير ٢/ ٢٦ ، كشف الخفا ١/ ٣٢٠) .

(١) هذا جزء من حديث صحيح ، رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة مرفوعاً ، (فيض القدير ٣/ ٣٧١ ، الترغيب والترهيب ٣/ ٤٥) .

الإفطار في رمضان ، وجعل الرضاعة حقاً للطفل ، كما شرع الحضانة حقاً للأم والطفل معاً .

وإن أول جهد في التربية ، وأول دعامة لها هو التوجه إلى البيت ، وخاصة إلى الزوجة الصالحة ، والأم المربية ، والمرأة المؤمنة الواعية ، وقد كان دوماً وراء كل عظيم امرأة عظيمة ، أو أب عظيم ، أو أبوان عظيمان .

٢ـ رعاية الوليد :

ومتى تمت الولادة بدأت التربية منذ اللحظة الأولى من حياة الوليد ، وهذا ما أرشد إليه الدين الحنيف ، وتفرد به على سائر المناهج التربوية في العالم ، وكلف الوالدين بإرساء الدعائم التربوية التي سيتم عليها بناء المستقبل ، وهي آداب إسلامية ، وسنن نبوية ، ومنهج رباني ، وأهم هذه الآداب ثلاثة :

الأدب الأول : الأذان والإقامة في أذني الوليد ، ليكون أول شيء يسمعه في هذا الوجود هو توحيد الله تعالىٰ الذي خلقه وأوجده من نطفة فعلقة فمضغة في ظلمات ثلاث ، ليحقق خلافة الله في أرضه ، ويبدأ بتنفيذ العهد الذي أخذه الله

تعالىٰ من بني آدم من ذريتهم ، وأشهدهم على أنفسهم : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ﴾ [الأعراف : ١٧٢] .

والأذان والإقامة يربطان الحياة ـ في الأفراح والأتراح ـ بالعقيدة والدين ، ليبقى الأهل أيضاً في لحظات السعادة على صلة بالله تعالىٰ ، وتذكر له ، ويقولوا : ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ [المؤمنون : ١٤] .

الأدب الثاني : حسن اختيار الاسم ، وهذا من مسؤولية الوالدين ، لما ورد في الأحاديث الشريفة الكثيرة ، قال رسول الله ﷺ : « حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه ، ويعلمه الكتابة ، ويزوّجه إذا بلغ »[1] ، وعن ابن عباس رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُما قال : قالوا : يا رسول الله ، قد علمنا ما حق الوالد ، فما حق الولد؟ قال : « أن يحسن اسمه ويحسن أدبه »[2] ، وكان رسول الله ﷺ يغير الأسماء القبيحة التي كانت في الجاهلية إلى أسماء حسنة ، وإن اختيار الاسم الحسن علامة بارزة في التربية غير المباشرة ، لأن كل شخص له من اسمه

---

(١) رواه أبو نُعَيْم في الحلية عن أبي هريرة ، والديلمي في مسند الفردوس . (فيض القدير ٣/ ٣٩٤) .

(٢) رواه البيهقي عن ابن عباس ، (فيض القدير ٣/ ٣٩٤) .

نصيب ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، بالإضافة إلى الأمور النفسية التي يبينها علماء التربية عند المناداة باسم حسن أو قبيح ، وأثر ذلك على نفسية الطفل ، وعلاقته مع زملائه وأفراد مجتمعه .

الأدب الثالث : تكريم الطفل بالعقيقة لإعلان السعادة والفرح والبشر بمقدم الطفل ، وتكون العقيقة بذبح شاة أو أكثر عن المولود يوم أسبوعه ، لإطعام الأهل والأقارب والجيران بهذه المناسبة السعيدة ، وتقديم الشكر لله تعالى على فضله ونعمه ، وقال جمهور العلماء : العقيقة سنة .

٣ـ رعاية الطفل من الصغر في مأكله ومشربه وجسده وثيابه :

ليكون صحيح العقل ، قوي الجسم ، سليم الحواس ، فإن حياة الإنسان كلٌ لا يتجزأ ، وإن حياته الجسمية في الصغر مؤشر إلى حالته في الكبر ، وإن العقل السليم في الجسم السليم ، والإسلام يريد منا أن نربي أولادنا على القوة والنشاط ، يقول رسول الله ﷺ : « المؤمن القوي خير وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير »[1] ، وهذه

---

(١) رواه مسلم وابن ماجه ، وأحمد عن أبي هريرة مرفوعاً ، (الفتح الكبير ٣/ ٢٥٠) .

القوة تتجلى بالمعنى المادي ، كما تتجلى بالمعنى الروحي أيضاً ، بأن يكون الطعام طاهراً ومبرءاً من كل حرام ، فلا يطعم الأولاد إلا من حلال ، ولا تتغذى الحامل والمرضع والأم والحاضن إلا من حلال ، لأن اللبن أو الغذاء الحاصل من حرام لا بركة فيه ، وكيف يقدم الوالد إلى أولاده الغذاء الحرام ، ثم يسعى إلى أن يكونوا على منهج الله ، وصراط رب العالمين ، فإن الفاسد لا يؤدي إلا إلى فساد ، والحرام لا ينتج إلا سوءً وضرراً ، كما أن الحرام لا يكون وسيلة إلى المقاصد النبيلة ، وكل لحم نبت من السحت فالنار أولى به ، يقول رسول الله ﷺ : « إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ﴾ [المؤمنون : ٥١] . ثم ذكر الرجل يطيل السفر ، أشعث أغبرَ ، يمدُّ يديه إلى السماء ، يارب يارب ، ومطعمُهُ حرامٌ ، ومشربُهُ حرامٌ ، وملبسُهُ حرام ، وغذي بالحرام ، فأنى يستجاب له »[1] .

---

(١) رواه مسلم والترمذي عن أبي هريرة مرفوعاً ، (جامع العلوم والحكم ص٨٥) .

ويظن كثير من الآباء أن واجبهم تجاه الأولاد مقصور على تقديم القوت والغذاء والكساء ، وأن يؤمنوا لهم العيش الرغيد ، والحياة المادية المرهفة ، فيقضي الأب الأيام والسنين منهمكاً في الكسب ، ويضرب في الأرض للتجارة والعمل ، ويسعى ذات اليمين وذات الشمال ، فيغيب عن بيته زمناً طويلاً ، ويترك أولاده ، ويغفل عن تربيتهم ، ويظن أنهم صغار يكفيهم الطعام والشراب واللباس ، فتكون النتيجة الضياع والحسرة .

وعلى العكس من ذلك تماماً فقد عمد الناس قديماً إلى وأد البنات ، هرباً من رزقهم ، وبخلاً على معيشتهم ، وخشية من الفقر وضيق ذات اليد ، ويعمد الناس اليوم إلى ما يسمى بمنع النسل أو تنظيم النسل ، خشية الإملاق والإنفاق ، والخوف من قلة الرزق أو الخوف من الفقر ، لذلك رد القرآن الكريم على هذين الصنفين رداً حاسماً ، مبيناً أن الله هو خالق الأولاد ، وهو رازقهم ، وأن الله يرزق الأولاد كما يرزق الآباء والأمهات ، وحذر القرآن الكريم من هذه الوساوس والأوهام ، فقال تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء : ٣١] .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ ﴾ [الأنعام : ١٥١] . كما أعلن القرآن الكريم المبدأ العام في الرزق فقال تعالىٰ : ﴿ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ [الذاريات : ٢٢-٢٣] . وربط القرآن الكريم بين الكسب والرزق ووجوب التربية ، وأن انصراف الوالدين بعض الوقت إلى تربية الأولاد لا يؤثر على موردِ رزقهم ولا يبطله ، فقال تعالىٰ : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [طه : ١٣٢] . فالآية الكريمة ربطت بين التربية وبين الرزق ، وأن الرزق بيد الله تعالى ، فلا يظن المؤمن أن تربية أولاده تشغله عن كسب الرزق ، لأنه مقسوم محدد ، ثم عقبت الآية على كل ذلك بأن العاقبة في الدنيا والآخرة هو للتقوى عن طريق الصلاة والتربية ، وليس من كثرة الأموال وجمع الأرزاق ، وهذا يقودنا إلى أهمية التربية من الصغر .

٤ـ البدء بالتربية والتوجيه من الصغر :

بأن يضع الوالدان الخطة الحكيمة ، والمنهاج السديد لتربية الأولاد ، وذلك بأن يبذل الأب من ماله ووقته على تربية

ولده ، كما ينفق من ماله وراحته على تأمين مأكله ومشربه وملبسه ، فيعلمه الأدب الحسن ، ويلقنه الخلق الإسلامي الفاضل ، ويدربه على السلوك القويم .

والوسيلة التربوية لذلك أن يغرس الآباء والأمهات في نفوس الأولاد القيم الدينية ، والعادات الإسلامية الصحيحة ، وأن يؤدبوهم بآداب الإسلام ، وأن يعلموهم أحكام الشريعة ، وأن يرددوا على مسامعهم محبة الله ورسوله ، وأن يذكروهم باستمرار بفضل الله وآلائه ، ورحمته ورعايته ، وتصرفه في الكون والحياة والإنسان ، وأن يميزوا لهم بين الحلال والحرام ، وأن يلقنوهم بعض الأمور العامة ، مثل ولادة الرسول ﷺ زماناً ومكاناً ، واسم أبيه وأمه وجده وعمه ومرضعته ، وأن يصحبهم الأب إلى المسجد ، ويأخذ بيدهم إلى أماكن العبادة والحفلات الدينية ، وأن يرشدهم إلى الخير وحفظ القرآن ، وأن يحفظهم قسطاً من السنة والسيرة وأخبار الصحابة والخلفاء الراشدين وغير ذلك مما يجب على الوالدين أن يحرصوا عليه في تربية الأبناء والبنات ، ليسيروا على صراط الله المستقيم ، ويكون الأولاد ذرية صالحة في الدنيا ، ويكونون أجراً وثواباً في صحيفة الوالدين في

الآخرة ، ويمتد بهم العمل الصالح بعد الوفاة ، ويتحقق فيهم الحديث الشريف : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، وعلم ينتفع به ، وولد صالح يدعو له »[1] .

كما يجب على الوالدين أن يعاملا أولادهما بالعطف والرفق واللين والحزم والشدة عند اللزوم ، ويتدرج معهم كلما تقدم بهم السن ، ويجب على الوالد أن يغير من طريقته في التعامل حسب العمر ، وأن يدخل إلى نفوس أولاده عن طريق مكاشفتهم بأحوالهم الخاصة ، ومتطلباتهم النفسية والجسدية والفكرية ، وخاصة عند ظهور علامات البلوغ وأماراته ، وأن يكون حليماً في كل ذلك لإقامة التوازن الكامل لهم في النواحي المختلفة ، فلا يفرط الطفل أو الشاب في جانب على حساب جانب آخر ، فقد ورد في الأثر : « لاعب ابنك سبعاً ، وأدبه سبعاً ، وصاحبه سبعاً ، ثم اترك الحبل على غاربه » ، وكذلك الأم في علاقتها مع البنت ، وخاصة عند النضج والبلوغ .

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد ، ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذي . (الفتح الكبير ١/ ١٥٥ ، نزهة المتقين ١/ ٧١٣) .

وهذه التربية تتوقف على الأصول التربوية التي يجب على الوالدين رعايتها ، وتبدأ بالمحبة والصداقة ، والصراحة والتفهم لأحوال الأولاد وشؤونهم وظروفهم الخاصة لمعالجتها بحكمة ، ثم بيان التوجيه السديد ، والطريق السليم لها .

وأما اللجوء إلى القسوة والشدة والتهديد الذي يتسرب إلى نفوس كثير من الآباء ، فيصدرون الأوامر ، وكأنهم في معركة حربية في البيت ، فإنه يبوء بالفشل ، ويفقد الأهل سلطان الإرشاد والتوجيه ، والإقناع والوقار ، وقد يتظاهر الأولاد أمام الآباء بالطاعة والركون والهدوء ، ونفوسهم في غليان شديد ، ينتظرون الفرصة للعبث ، ثم التوجه إلى من يفضون إليه بمشاعرهم ، ويجدون عنده الأذن الصاغية ، واللسان الرقيق ، ليقودهم إلى الهاوية أو الطريق الوعر .

ونقول : يجب وضع الخطة الرشيدة في التربية ، لأنه لا يصح شرعاً الاكتفاء بكلمات عابرة ، ونصائح شفوية ، وأوامر مجردة ، كقول الأب : « قم إلى الصلاة ، اقرأ القرآن ، اتق الله ، راقب الله » فإن العدو الماكر قد خطط لهذه الأمة ، وتآمر على دينها ومقدساتها ، واتجه إلى اغتيال أبنائها

وشبابها وفتياتها ، ولا يزال ينفذ مخططه بخبث لئيم ، وخطاً ثابتة ، ودراسة محكمة ، ووسائل متعددة ، وأساليب دنيئة ، ولابد أن نواجه هذا التخريب بدقة وحنكة ودراية ، فالحديد لا يفله إلا الحديد .

٥ـ التعريف بالحلال والحرام :

يجب على الآباء والأمهات أن يُعَرِّفوا أولادهم بالحلال والحرام في جميع التصرفات ، وأن يُنَمُّوا فيهم العقيدة السليمة ، وأن يعلموهم العبادات ، وأن يربوهم على محاسن الأخلاق ، فيغرسون في نفوسهم الإيمان بالله تعالىٰ ، وحقه بالشكر ، والمحبة لرسول الله ﷺ ، والاقتداء بمواقف المصطفى عليه الصلاة والسلام في مختلف جوانب الحياة ، فتى وشاباً ، ورجلاً وقائداً ، وزوجاً وأباً ، وداعية ومعلماً ، وصديقاً وجاراً ، وسياسياً ورجل دولة ، وأن يعتزوا بالصحابة وتاريخ السلف وتراجم القادة والعلماء والخلفاء .

والطريق إلى ذلك يتم بالتعليم المباشر ، والتعليق على مواقف التاريخ ، وضرب الأمثلة الحية ، والقصص الإسلامي ، والقراءة الواعية ، وإن التزود بالثقافة الإسلامية

ضروري جداً ، ولكن المهم في الثقافة هو الجوانب الحية ، والتطبيق العملي في الحياة ، ليقوم في نفس الطفل صورة كاملة صحيحة عن الإسلام ، وتبدأ هذه الثقافة بسيرة الرسول ﷺ لينشأ الشاب على حب الخير والفضيلة ، ويتجنب الشر والرذيلة .

والشائع اليوم أن كثيراً من الآباء والأمهات يهملون أولادهم في هذه المرحلة الخطيرة ، ويوهمون أنفسهم أن الأطفال صغار ، وأنهم لم يتفتحوا على الحياة ، وأن التعاليم الدينية المبكرة ـ كالصلاة والحجاب ـ لا تجدي ، ولا تجب ، ويقدمون أدلة مضحكة بأن الطفل غير مكلف إلا بعد البلوغ . . . ، فإذا صلب العود ، وبلغت الفتاة ، وتكونت العقليات ، وتسرب الفساد ، وتشرب الأطفال العادات السيئة والأفكار البذيئة ، وانحرف الشاب عن الصراط المستقيم ، وتحدَّت الفتاة حياء الإسلام ، وحشمة الإيمان ، وشعار الدين ، جاء الأب نفسه يدعو بالويل والثبور ، وأنه لم يقدر على أولاده ، وأنهم خرجوا عن طاعته وبره ، وأن السفينة قد خرجت عن قيادته ، ونسي بأنه قد تهاون بهم ، فكان جزاؤه أن يستهينوا به في الدنيا ، وما عند الله أكبر ، وهكذا كثير من الأمهات .

وقد يحاول الآباء والأمهات أن يستخدموا حقهم في التربية بعد فوات الأوان ، فيكون الفشل حليفهم ، ويحاول الأب أن يستنجد بزوجته ، أو العكس ، ويستغيثون بالأقارب أو معلم الصف ، أو مدير المدرسة ، ولكن أنى ينفع الدواء بعد أن استحكم الداء ، واستشرى الفساد ، ولم يبق إلا البتر أو الاستئصال ، وهيهات هيهات ، فلا يلومن إلا نفسه ، لأنه فرط في أول الأمر ، فجنى الحصاد الرديء ، والثمار الفج ، ولم ينفعه مال جمعه ، ولا متاع ادخره ، ولا أملاك حصل عليها ، ولذا قيل : من أدب ولده صغيراً ، سُرَّ به كبيراً ، والعكس بالعكس تماماً ، وجاء في الأثر : « الزموا أولادكم ، وأحسنوا أدبهم » . وقال رسول الله ﷺ : « من عال جاريتين حتى يدركا دخلت أنا وهو الجنة كهاتين »[1] ، وفي حديث آخر « من عال ثلاث بنات فأدبهن وزوجهن وأحسن إليهن فله الجنة »[2] .

---

(١) أي ضم اصبعيه مشيراً إلى قرب فاعل ذلك منه ﷺ ، والحديث صحيح رواه مسلم والترمذي عن أنس مرفوعاً ، (فيض القدير ٦/ ١٧٧) .

(٢) رواه أبو داود عن أبي سعيد مرفوعاً ، (فيض القدير٦/ ١٧٨) .

٦ـ ممارسة العبادات :

يجب على الوالدين أن يعوِّدوا أولادهم على ارتياد المساجد وأداء الصلاة في البيت والمدرسة ، وأن يدربوهم على الصيام والإنفاق والتصدق والإحسان إلى الجار الفقير ، وأن يعينوا العاجز ، وأن يحترموا الكبار والمسنين ، وأن يجعلوا أعمالهم في مرضاة الله ، وأن يحبوا في الله ، ويكرهوا في الله ، وأن يضحوا بمالهم وأنفسهم في سبيل الله ، وغير ذلك من الفرائض الدينية ، والآداب الإسلامية ، وخاصة الحجاب للبنت مثلاً ، يقول رسول الله ﷺ : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع »[1] ، قال العلماء : وهكذا في الصوم وغيره ، ليكون ذلك تمريناً لهم على العبادة ، لكي يبلغوا وهم مستمرون على العبادة والطاعة ومجانبة المعصية وترك المنكر[2] ، والحكمة من النص على الصلاة أنها عماد

---

(١) رواه أبو داود والترمذي وأحمد والحاكم ، عن ابن عمرو مرفوعاً ، (الفتح الكبير٣/ ١٣٥) .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ٤/ ٣٩١ .

الدين ، وقوام الحياة ، والصلة الوثيقة بين الإنسان وربه ، لتكون تذكيراً لصاحبها بكل الأحكام الشرعية في أوقاتها المختلفة .

والوسيلة التربوية لذلك أن يصحب الوالد أبناءه معه إلى المسجد ، وأن يشاركهم في تنفيذ الأحكام الشرعية في البيت والعمل ، وأن يكلفهم بها ، وأن يطلب من أحدهم مثلاً مساعدة عاجز أو إعطاء الصدقة لفقير ، ثم يبين لهم حكمة الإسلام من ذلك ، وأن يحبب لهم الطاعات والعبادات ، ويرغبهم بأجرها وثوابها وجزائها ، وأن يحذرهم من المحرمات والفساد والانحراف ، ويرهبهم منها ، ويشرح لهم مضارها وآثارها وعقابها ، وأن يرشدهم إلى الحكمة والغاية ، وأن ينير أمامهم الطريق ، وأن يجالسهم في أوقات متعددة ، دون أن يكتفي بإصدار الأوامر ، أو مجرد السؤال عن أداء الصلاة مثلاً ، وأن يثابر على الموعظة ، ويلجأ إلى الترغيب والترهيب على منهج القرآن والحديث الشريف ، وأن يستمر في التذكير اليومي ، لقوله تعالىٰ : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [طه : ١٣٢] . فالقرآن الكريم لم يكتف بمجرد أمر الأولاد والأهل بالصلاة ، بل قرن ذلك بالمواظبة ،

والصبر والمصابرة ، والمتابعة والمراقبة لتحقيق الهدف المنشود .

٧ـ إقامة الصِّلات الاجتماعية القويمة :

ومن عناصر التربية الإسلامية أن يقوم الوالدان بتوجيه الولد إلى اختيار الصديق الصالح ، والزميل المؤمن ، وإلا اختار لنفسه ما شاء ، والصديق يؤثر على صديقه تأثيراً كبيراً في الإصلاح والإفساد ، والمرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل ، والصاحب ساحب ، وخاصة بعد العاشرة من العمر ، لأن الطفل يتلقى في المرحلة الأولى كل شيء من والديه ، فإن ترعرع ، وخرج من البيت ، واختلط بالناس في المدرسة والطريق والملعب والحديقة ، فتش عمن يلاعبه ويجالسه ويرافقه ، وهنا يظهر أثر الأب غير المباشر في التوجيه نحو اختيار الأصدقاء والزملاء ، وإبعاد ولده عن قرناء السوء ، ويتوقف نجاحه على حكمته ودرايته ، أما إذا فقد الوالد زمام المركب ، واتجه الشراع إلى غير ما يحب ، بأن يكون بعيداً عن بيته ، مفرطاً في أمره ، متهاوناً في تربيته ، سيئاً في معاملته مع أولاده ، فلا يبقى له أثر ما في التوجيه ،

ويتولى رفاق السوء ، وأصدقاء الطريق سحب الأولاد ، والتأثير عليهم على النحو الذي يبغون .

والوسيلة التربوية إلى توجيه الأولاد لاختيار الصديق الصالح أن يصحب الوالدان أولادهما في زياراتهم ، ليتعارف الأولاد على أترابهم عند أصدقاء الأب وزملائه المؤمنين الصالحين ، ليقيموا معهم وبأنفسهم جسور الصداقة والتعاون والمحبة وتبادل الكتب والمجلات والأفكار والآراء ، ويشرف الوالد على التوجيه غير المباشر ، فإن تمت العلاقة بين الأولاد توارى الآباء عن المسرح ، وهنا يسمع الطفل الخير كل الخير ، ويبصر بقلبه وعقله وشعوره تطبيق الخير في المجتمع الذي يزرع فيه الفضيلة ، ثم يفعل الآباء مثل ذلك مع الجيران الصالحين والأقارب الطيبين ، وذوي الرحم الملتزمين بالإسلام ، ويتابع الآباء وظيفتهم بأن يرشدوا أبناءهم إلى الأندية الرياضية التي تطبق أحكام الشرع ، وإلى حضور الدروس المفيدة ، والكتب النافعة ، والبرامج الإسلامية ، والندوات الفكرية ، واقتناء المجلات الهادفة ، والقصص والروايات البناءة ، وعلى العكس من ذلك فعلى الآباء أن يقطعوا كل آصرة لا ترضي الله ، ولو كانت مع قريب فاسد ،

أو جار منحرف ، أو زميل متهاون ، او مجلة مأجورة ، أو كتب هدامة ، وذلك عن طريق الإقناع والتوعية والمناقشة والحوار ، وليس بالقسوة والإجبار ، أو الصراخ والتهديد ، وهذا ما أكده الرسول الكريم فقال : « مثل الجليس الصالح والجليس السوء ، كحامل المسك ونافخ الكير »[1] ، فالجليس الصالح يقول الخير ويفعله ، ويرشد إليه ويدعو له ، والجليس السوء يحمل الشر ويعمل به ، ويفعل المنكر ويدعو إليه .

أما ما يفعله المسلمون اليوم من اصطحاب أولادهم إلى أماكن اللهو والفجور والأفلام الجنسية ، والسهرات المختلطة ، والأماكن الموبوءة ، والمدارس التبشيرية ، والأندية الإلحادية ، فإنه حرام قطعاً ، ويتحملون مسؤوليته الجسيمة أمام الله تعالىٰ في الدنيا والآخرة ، لأنهم يقدمون أولادهم هدية للشيطان ، ويعرفونهم على منافذ الفساد وطريق الشر ، ويغمسونهم في الرذيلة والفحشاء ، ثم يطلبون منهم بعد ذلك الفضيلة والصلاح؟!! .

---

(١) رواه البخاري عن أبي موسى مرفوعاً ، (فيض القدير ٥/ ٥٠٧) .

٨ـ تحفيظ القرآن الكريم :

ومن منهج الإسلام في التربية تحفيظ القرآن الكريم للأطفال من الصغر ، لأنه يقوِّمُ السلوك والخلق ، ويحفظ اللسان ، ويثبت العقيدة ، ويضمن المستقبل للشاب ، يقول الرسول الكريم : « أدبوا أولادكم على ثلاث خصال : حب نبيكم ، وحب أهل بيته ، وقراءة القرآن ، فإن حملة القرآن في ظل الله يوم القيامة ، يوم لا ظل إلا ظله ، مع أنبيائه وأصفيائه »[١] .

ويقول عليه الصلاة والسلام : « خيركم من تعلم القرآن وعلَّمه »[٢] ، والأحاديث في ذلك كثيرة ، والآثار الطيبة ، والمنافع الجمة لا تخفى على مسلم .

ويتوقف النجاح في هذا المضمار على توجيه الآباء أولاً ،

---

(١) حديث ضعيف ، رواه أبو نصر عبد الكريم الشيرازي في فوائده ، والديلمي في مسند الفردوس وابن النجار في تاريخه عن علي ، (الفتح الكبير ١/ ٥٩) .

(٢) حديث صحيح ، رواه البخاري وغيره عن عثمان بن عفان ، (فيض القدير ٣/ ٤٩٩ ، نزهة المتقين ١/ ٧٤٠) .

وعلى اختيار الموجه للأولاد ثانياً ، وذلك بانتقاء المربين لهم ، وهذا ما بالغ به السلف الصالح ، والخلفاء الأوائل ، فكانوا يتخيرون المؤدبين والمربين والمعلمين الأفاضل الذين يثقون بدينهم وأخلاقهم وسلوكهم ، ويعهدون إليهم بتربية أولادهم ، ويرسمون لهم الخطوط العريضة في التربية .

ويمكن أن يعتمد الآباء والمربون في هذا الخصوص على مبدأ الثواب والعقاب ، أو الترغيب والترهيب ، على أن يكون الثواب والترغيب والمدح جهراً وعلناً أمام الناس ، لتشجيع الولد ، وإضفاء الصفة الحميدة عليه ، وتلبية النوازع النفسية عنده ، كحب الظهور ، واستقلال الشخصية ، وتحقيق الذات ، والسعي على نشر الفضيلة المجاز عليها ، وخاصة في مرحلتي الطفولة والشباب ، أما العقاب والتهديد والترهيب فيكون سراً وخفية ، مع التوجيه الكافي ، وبيان سبب العقاب ، وتحقيق النصح والإرشاد ، وتجنب التشهير وإفشاء المنكرات والمساوىء ، ويجب على الآباء والمربين أن يتغافلوا عمداً عن بعض الهفوات الصغيرة والأخطاء الطارئة ، والذنوب العارضة ، لأن الإنسان ، كل إنسان ، خطّاء ، وغير معصوم ، وأنه ليس آلة صماء يعمل بانتظام ،

ولأن الإنسان كل إنسان ، حتى الطفل الصغير ، يملك جهازاً رقابياً ذاتياً وداخلياً ، يحاسب به نفسه ، ويزن به أعماله ، ويتراجع في الغالب ـ ذاتياً وتلقائياً ـ عن هفواته ، ويؤنب نفسه على تصرفاته ، ويندم على أفعاله السيئة ، فيجب أن يترك له هذه الفرصة في الصغائر ، ويكون قد كفى والده مؤنة التربية والعقاب بالتغاضي عنه ، كما يجب أن يكون العقاب ـ إن وجد ـ مجزياً وخفيفاً ومتناسباً مع سببه ، وأن لا يكثر الوالد منه ، حتى لا يتعود الطفل عليه ، ويهون الملام على نفسه وسمع التأنيب ، وألا ينحصر العقاب بالضرب ، بل يجب أن يكون الضرب آخر المطاف ، وفي أقل الحدود وأخفها .

ومن الخطأ الشائع أن يكتفى بحفظ بعض الآيات ، أو قراءة بعض الكتب بشكل إجباري ، دون أن يدرك الأولاد المضمون والهدف الذي يشوقهم بالحفظ ، ويعلقهم بالكتاب الكريم ، والاستفادة من آياته ومعانيه ، وحكمه وأحكامه .

٩ـ التسوية بين الأولاد :

ويجب على الوالدين التسوية بين الأولاد في الرعاية والمحبة ، والاهتمام والهدايا ، وأن لا يخصص الوالدان أحد

الأولاد على آخر بالعاطفة أو الهدية أو التقبيل ، مادياً ومعنوياً ، بل يجب المساواة حتى في القبلات على وجنات الصغار ، لما رواه الشعبي أن رسول الله ﷺ قال : « اعدلوا بين أولادكم في العطايا ، كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البر »[1] ، وروى النعمان بن بشير رضي اللهُ تعالىٰ عنهُ أن أباه أعطاه عطية ، ولم يعط بقية إخوته ، وأراد أن يشهد على تصرفه رسول الله ﷺ ، فسأله رسول الله ﷺ : هل أعطيت أولادك مثل هذا؟ قال : لا ، فقال عليه الصلاة والسلام : « فاتقوا الله واعدلوا في أولادكم » . وفي رواية أخرى : « قال : لا تشهدني على جَوْر ، وإن لبنيك عليك من الحق أن تعدل بينهم »[2] ، فأراد رسول الله ﷺ أن يعلم الصحابة والمسلمين جميعاً مبدأً تربوياً عظيماً ، يترك أعظم الآثار على نفسية الأولاد .

أما تفضيل أحد الأولاد ، وتخصيصه بمال أو ميراث أو عطية أو رعاية ، فإنه من أمراض الجاهلية التي عادت أدراجها

---

(١) رواه الطبراني عن النعمان بن بشير ، (فيض القدير ١/ ٥٥٧) .
(٢) رواه البخاري ومسلم والإمام أحمد ، (فيض القدير ١/ ١٢٦) .

إلى المسلمين ، لتفت في العضد ، وتمزق الشمل ، وتقطع الأرحام ، وتخلق الحقد والبغضاء والضغينة والعداوة بين أفراد الأسرة الواحدة .

١٠ـ القدوة الحسنة :

ومن أهم عناصر منهج الإسلام في تربية الأولاد أن يكون الوالدان قدوة حسنة في التربية ، لأن التقليد وسيلة تربوية ناجحة عند الصغار والكبار ، وخاصة في الصغر ، ومع الوالدين ، فالطفل يبدأ أولاً بتقليد والديه ، ومن يحوط به في صغره ، ويحاول محاكاتهم في كل صغيرة وكبيرة ، ويتخذ مسلكه في الحياة بتقليد من يحب فيما يصدر عنه من تصرفات وعادات وصفات ، ويتقمص شخصية من يستحوذ على فكره وشعوره ، ويظهر التقليد جلياً واضحاً عند الأطفال في العبادة والأخلاق والسلوك ، وفي هذا يقول الرسول الكريم : « كل مولود يولد على الفطرة ، وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه »[١] .

---

(١) رواه أبو يعلى والطبراني والبيهقي عن الأسود بن سريع ، وصححه السيوطي (الفتح الكبير ٢/ ٣٢٩) .

والقدوة الحسنة يجب أن تتحلى بالفكر والسلوك معاً ، فلا يكفي أن يملك الأب ثقافة إسلامية جيدة ، ليوجه الطفل إليها ، ويطلب منه التطبيق والتنفيذ ، بينما يفرط الأب نفسه في التطبيق ، ويفقد الالتزام ، فيكون عمله مكذباً لقوله ، وسلوكه مناقضاً كلامه ، كما لا يكفي السلوك الإسلامي القائم على التقليد ، مع الجهل بمبادىء الإسلام وأهدافه وحكمته ، بأن يقوم الآباء أحياناً بالصلاة والصدقة والإحسان ، والتعصب الديني ، ويفرضون على أولادهم الاتباع ، فإن سأل الطفل أباه عن حكم أو حكمة أو عرض عليه شبهة ، أو فهماً منحرفاً ، أو خطر للطفل خاطر يريد تفسيره ، كان الأب أصم وأبكم ، لايدري من أمره شيئاً ، وقد يفقد الوعي والإدراك من أسئلة ابنه ، فيلجأ إلى القسر والكبت ، ثم إلى التهمة والشك ، وقد يصل إلى الضرب واللطم ، ولا يستطيع أن يواجه أولاده بالحقيقة الناصعة ، لأن فاقد الشيء لا يعطيه ، لذلك لابد من القدوة الحسنة في الفكر والسلوك معاً ، ليوضح المربي لأولاده عظمة هذا الدين ، وفلسفته في الكون والحياة والإنسان ، وأثره في إصلاح الفرد والمجتمع ، وحاجة الناس إليه ، ثم يرى أثر هذا الفكر على السلوك وعند التطبيق .

وإن تعذر على الأب هذا الوصف فيجب أن يسلم أولاده إلى الأيدي الأمينة ، والمربي الواعي ، والموجه الحكيم ، كما يفعل تماماً في الصنعة والحرفة والتعلم .

ومن جهة ثانية فإن جميع العناصر السابقة تبقى حبراً على ورق ، وكلاماً نظرياً على السطور والألسنة ، إذا لم تتجسد بصورة واقعية في حياة الطفل ، فيجب على الأب أن يكون قدوة في رسم الصورة الواقعية للإسلام ، كما أن العناصر السابقة في منهج الإسلام في تربية الأولاد تفقد حيويتها وقوتها وفعاليتها ـ مهما كان المربي قوي الشخصية ـ إذا خالفت أقواله أفعاله ، وكان متناقضاً بين كلامه وأعماله ، كأن يأمر أولاده بالصلاة ، وهو لا يصلي ، أو ينهى عن الكذب ، وهو يحترفه في حياته ومعاملاته وتصرفاته ، وأن يمنع ولده مثلاً عن شرب الدخان ، وهو يدمن عليه .

١١ـ الاعتماد على الله تعالىٰ :

وآخر هذه العناصر ، بل وأهم هذه العناصر في منهج الإسلام في تربية الأولاد ، هو الاعتماد على الله تعالىٰ في كل خطوة من العناصر السابقة ، فيتوجه إلى الله تعالىٰ في كل

مرحلة ، ويسأله التوفيق ، ويتوكل عليه في حفظ الذرية الطيبة ، ويستعين به في إصلاح الأولاد ، ويلتجىء إليه بالدعاء لتحقيق مقصده فيما يعمله ، وما يخططه لتربية أولاده ، وقد ذكر القرآن الكريم قصصاً كثيرة عن الأنبياء والصالحين الذين توجهوا إلى الله تعالىٰ ، واعتمدوا عليه في تربية أولادهم ، وهذه القصص إرشاد وتعليم للمسلم ، قال تعالىٰ على لسان أبي الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام : ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴾ [ابراهيم : ٤٠] . وقال تعالىٰ على لسان ابراهيم وإسماعيل : ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً ﴾ [البقرة : ١٢٨] . وقال تعالى على لسان المسلم المؤمن : ﴿ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ﴾ [الأحقاف : ١٥] . وهذا من وصايا القرآن الكريم التي ينعت بها الإنسان العاقل الرشيد الذي بلغ أشده ، فيذكره بأبويه ، ويربط ذلك بحبِّ البقاء ، والاستمرار في طلب الذرية الصالحة ، فيقول تعالىٰ في أول الآية : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى

ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف : ١٥] . ثم وصف القرآن الكريم عباد الرحمن بعدة صفات ، منها التوجه إلى الله تعالىٰ بطلب الذرية الصالحة ، فقال تعالىٰ : ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان : ٧٤] .

فإن نفذ المسلم هذا المنهج في تربية أولاده ، معتمداً على الله فيه ، ثم ساء الولد وفسد ، فتلك مشيئة الله وإرادته ، فعلينا العمل ، وعلى الله النتائج ، وعلينا الكسب ، وعلى الله الاتكال ، ولله في خلقه شؤون ، وقد بذل سيدنا نوح أقصى ما يستطيع لهداية ابنه فأبى حتى أصابه الغرق ، فكان من الهالكين .

وإن هذا المنهج الرباني في تربية الأولاد آتى ثماره اليانعة ، وسار عليه المسلمون والمسلمات عبر التاريخ ، فقدموا للأمة الأجيال الصاعدة ، والأولاد البررة ، والذرية المؤمنة الصالحة ، والشباب المتحفز الناهض لرعاية شؤون دينه وأمته ، كما أنتج الفتيات الفضليات لحمل راية التربية ، وقدم الآباء والأمهات فلذات أكبادهم ، ليكونوا منارات الهدى ، ومصابيح الضياء للعالم أجمع .

وصفحات التاريخ مليئة بالأمثلة ، وهي أكثر من أن تحصى ، فالصحابة الكرام أنجبوا التابعين الصالحين ، والتابعون أقاموا أبناءهم على منهج الله ، فكانوا قادة الفتوح والدعوة الإسلامية إلى أنحاء المعمورة .

وهذا المنهج هو الذي سارت عليه فاطمة الزهراء في تربية الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة ، وهو ما طبقته الخنساء عندما ألقت بأبنائها الأربعة إلى ساحات الشهادة والخلود ، وهو الذي سارت عليه أسماء في تربية عبد الله بن الزبير العالم الداعية ، المجاهد البطل ، التقي الورع ، حمامة المسجد في العبادة ، وهذا المنهج هو الذي تربى عليه الإمام الشافعي وأحمد وربيعة وابن حزم وصلاح الدين ، وغيرهم من أعلام الأمة في العلوم والقيادة ، والعبادة والسلوك ، وهو ماردده الشاعر العربي :

وينشأ ناشىء الفتيان فينا على ما كان عوَّده أبوه

وهو ما يفيده المثل العربي : « يشيب المرء على ما شبَّ عليه » .

هذا المنهج هو ما قصدنا بيانه وشرحه باختصار ، وهو ما نطالب بالالتزام به وتطبيقه وتنفيذه في البيت والأسرة ،

وهو ما نأمل به أن نعيد الحياة الكريمة لهذه الأمة لتزيل عن كواهلها عبء الذل والاستعمار والتبعية والذيلية والضياع ، يقول الله تعالىٰ : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام : ١٥٣] .

وهذا المنهج هو الأساس الذي تقوم عليه التربية السليمة ، والبذرة التي توضع في التربة ، والغرسة التي نقيمها في الأرض ، لتأتي المدرسة ثم المجتمع للسير على طريقه ، وإكمال البناء ، ورعاية الغراس ، وسقي البذور والنبات ، فتتحقق النتائج ، ويعتبر الآباء والأمهات قد أدوا الأمانة التي تحملوها ، وحفظوا الوديعة التي وضعت عندهم ، ثم سلموها إلى يد جديدة لمتابعة الطريق ، والاستمرار في الإعداد والتربية ، وهي المدرسة والمجتمع .

رابعاً : مسؤولية المجتمع عن التربية :

يعتبر المجتمع عاملاً هاماً في التربية ، ويمثل البيئة الواسعة التي تتمثل فيها العقيدة والأخلاق والقيم والمبادىء ، فالإنسان اجتماعي بطبعه ، فيؤثر في غيره ، ويتأثر من غيره ،

ومع أن تأثير المجتمع غير مباشر ، فإنه مؤثر ونافذ ، ويعتمد على الإيحاء وفرض العوامل النفسية على الفرد ليتكيف مع المجتمع ، دون أن يقف حائلاً وسداً منيعاً أمام تياره الجارف .

وازدادت أهمية المجتمع في التربية ، واتسع تأثيره في الأفراد بسبب التطور الحضاري الحديث ، والاختراعات التقنية المستمرة ، وكاد أن يتبوأ المكانة الأولى في التوجيه والتربية .

ومن هنا بيَّن لنا الإسلام أهمية المجتمع ، وأناط بتقديره بعض القيم والموازين ، فقال رسول الله ﷺ : « البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك في صدرك ، وكرهت أن يطلع عليه الناس »[1] .

وتغطي وظيفة المجتمع التربوية مجالات واسعة وعريضة ومتعددة ، وتشمل أقل الأمور في الحياة ، وأعظم الدوائر

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد ، ومسلم والترمذي عن النواس بن سمعان مرفوعاً ، (نزهة المتقين ١/ ٥٢٥ ، الفتح الكبير ٢/ ١٨) .

والمؤسسات ، فتظهر في العادات والتقاليد ، وفي الأفكار والأحاديث ، وفي الثقافة العامة ، والتوجيه المعنوي ، والأحاديث الخاصة والعامة ، وفي الكتب والمجلات والقصص ، وفي أجهزة الإعلام من الصحافة والإذاعة والتلفاز ، وفي الندوات والمحاضرات ، وفي الأغاني والأهازيج والأشعار ، وفي أجهزة الرقابة والتفتيش ، وفي مراعاة الأنظمة وتطبيقها .

وقد يكون تأثير المجتمع سلبياً ، أو منحرفاً ، أو موَّجهاً توجيهاً معيناً ، وقد تتعارض بسببه جهات التربية ، فيبني البيت مثلاً ، ويهدم المجتمع ، ويربي الآباء والأمهات ، ثم يفاجىء الأطفال بالواقع المر ، والنقد اللاذع لتمسكهم بالفضائل والقيم ، ويتحقق الانفصال بين الأسرة والحياة العامة ، ويقع الأطفال في انفصام الشخصية ، وازدواج التوجيه ، وقد يغلب الانحراف والاتجاه الجماعي الفاسد على الأفراد ، ويفرض عليهم الاعوجاج من المجتمع الذي يستظلون به ، لذلك أقامت الشريعة الغراء مؤسسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، على نطاق الفرد والجماعة ، وعلى المستوى الخاص والعام ، لضمان التوجيه السديد ،

وإيجاد المناخ الصالح ، وتهيئة البيئة الخصبة ، لتتولى الأمة والمجتمع مسؤولية التربية والتوجيه نحو الخير والسداد والرشد ، قال رسول الله ﷺ : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته »[1] . وقال عليه الصلاة والسلام : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان »[2] ، ووصف القرآن الكريم الأمة بالخير بسبب ذلك فقال تعالىٰ : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] . وأمر القرآن الكريم القيام بهذا الواجب المقدس ، فقال تعالىٰ :

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] . وهدد القرآن الكريم المجتمع الذي يرضى بالمنكرات والظلم والطغيان ، وأن الإثم والخطر والدمار يعم الجميع ، وأن

---

(١) رواه مسلم ، والبخاري وغيرهما ، وسبق ذكره ص ٧ ، (الفتح الكبير ٢/ ٣٣١) .

(٢) رواه مسلم وأصحاب السنن الأربعة وأحمد عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً ، (الفتح الكبير ٣/ ١٩٢) .

البلاء ينذر الأمة ، فقال تعالىٰ : ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾ [الأنفال : ٢٥] . وقال تعالىٰ : ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود : ١١٣] . وحذر القرآن الكريم من خطر انتشار المنكر والسكوت عنه ، وغلبة أتباعه ، كما حذر من التقصير عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل مكان ، وبيَّن تعالىٰ أن ذلك يستوجب اللعن والطرد من رحمة الله في الدنيا والآخرة ، فقال تعالىٰ : ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة : ٧٨ـ٧٩] .

وصور الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام الترابط بين أفراد المجتمع ، والتأثر المتبادل بينهم ، ووجوب الأخذ على يد الظالم والمنحرف والمسيء لانقاذ المجتمع ، فقال ﷺ . « مثل القائم في حدود الله ، والواقع فيها ، كمثل قوم استهموا على سفينة ، فصار بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا ما استقوا من الماء مروا على من فوقهم . ، فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ، ولم نؤذِ

مَنْ فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجَوا ونجُوا جميعاً »[1] .

وحدد القرآن الكريم وظيفة المجتمع المسلم في التربية ، وأنه يدعو لكل خير ، وينهى عن كل شر ومنكر ، فقال تعالىٰ : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ٧١] .

فالمؤمن مرآة أخيه المؤمن ، يتأثر به ، ويتعاون معه على البر والتقوى ، ويذكره إذا نسي ، ويرشده إذا ضل ، وينصحه إذا أساء ، ويصحح له إذا أخطأ ، ويقوِّمه إذا اعوج ، ويساعده على نوائب الدهر ، قال رسول الله ﷺ : « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ، قيل : كيف أنصره ظالماً؟ قال : تحجزه عن الظلم فإن ذلك نصره » وفي رواية « إن كان ظالماً فاردده عن ظلمه ، وإن يك مظلوماً فانصره »[2] .

---

(١) رواه البخاري والترمذي وأحمد عن النعمان بن بشير مرفوعاً ، (نزهة المتقين ١/ ٢١٠) .

(٢) رواه البخاري وأحمد والترمذي عن أنس مرفوعاً ، والرواية الثانية رواها الدارمي وابن عساكر عن جابر ، (فيض القدير ٣/ ٥٨)

كما أن المسلم قوي بأخيه ، لذلك أمر الإسلام بالهجرة من دار الكفر والشرك إلى دار الإيمان والإسلام ، وطلب من المسلمين مصاحبة الأخيار ، فقال تعالىٰ : ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف : ٢٨] .

وبين الرسول الكريم أثر مصاحبة الأخيار أو مخالطة الأشرار ، فقال عليه الصلاة والسلام : « مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن تشتري منه ، وإما أن يُحْذيك ، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك أو تجد منه ريحاً خبيثة »[1] ، وهذا يدل على أن الواجب على الإنسان أن يتحرى مصاحبة الأخيار ومجالستهم ، لأنها تحمل الشرير ليكون خيراً ، أو تمنعه على الأقل من شره ، وتحدَّ من فساده ونشاطه ، كما أن صحبة الأشرار قد تجعل الصالح شريراً ، أو

= وانظر : طرق تدريس التربية الإسلامية ص٣٥ .

(١) رواه البخاري عن أبي موسى ، ورواه أبو داود والحاكم عن أنس مرفوعاً ، (فيض القدير ٥/٥٠٧) .

تضعف نشاطه ، وتحول بينه وبين الخير والمعروف .

قال الحكماء : من صحب خيِّراً أصاب بركته ، وجليس أولياء الله لا يشقى[1] ، وأوصى الحكماء الأحداثَ بالبعد عن مجالسة السفهاء ، قال علي كرم الله وجهه : لا تصحب الفاجر ، فإنه يزين لك فعله ، ويودُّ لو أنك مثله ، وقالوا : وإياك ومجالسة الأشرار ، فإن طبعك يسرق منهم ، وأنت لا تدري ، ولا يشترط الفساد بالقول والفعل ، فالإنسان قد يتأثر بمجرد النظر إلى غيره ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، وقال الشاعر :

بعشرتك الكرامَ تُعَدُّ منهم فلا تُرَيَنْ لغيرهمُ ألوفاً

وقال آخر :

ألفتُ أكابراً وازددتُ علماً كذا من عاشر العلماء يُكرم[2]

وأكد رسول الله ﷺ وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإلا انتشر الفساد ، واختل المجتمع ، فعن حذيفة

---

(١) هذا مأخوذ من حديث صحيح رواه البخاري ومسلم وأحمد ، وفيه « هم القوم لا يشقى بهم جليسُهم » ، (الفتح الكبير/ ١/ ٤١٠) .

(٢) انظر : رسالة المسترشدين ص٦١ .

رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم »[1] .

ومن هنا يسعى الإسلام لإقامة المجتمع الفاضل الذي يقوم على أساس من التقوى وتطبيق أحكام الله ، وتنفيذ شرعه ، والالتزام بالمباحات ، والابتعاد عن المحرمات ، ويتمثل فيه دين الله تطبيقاً وسلوكاً ، فتنبع منه الفضائل ، وتزدهر فيه الأخلاق ، ويعلو فيه الحق ، ويخرس الشر والباطل ، ويخنس الشيطان وأعوانه ، وينعكس ذلك على أفراد المجتمع عامة ، والأطفال والشباب والجيل الصاعد خاصة ، فلا يبقى مجال للفساد وسوء الأخلاق ، وتتجه الأفكار والعقول نحو البناء والإعمار ، وتتوارث فيه الأجيال القوة والازدهار والفضيلة في المجالس العامة والخاصة ، وفي نقل الثقافة البناءة ، والأفكار الهادفة ، عن طريق وسائل الإعلام والتوجيه ، وأجهزة الدعاية والتعليم .

ونظراً لأهمية المجتمع في التربية والتوجيه فقد جعل

---

(١) رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن ، ورواه أحمد عن حذيفة ، (الفتح الكبير ٣/ ٢٩٧) .

الإسلام المسجد مدرسة للتعليم من جهة ، ومصدر إشعاع وتوجيه وتربية من جهة ثانية ، وتتمثل فيه أنشطة الحياة المختلفة من جهة ثالثة ، فيقصده الناس يومياً مرات متعددة ، ويرى فيه كافة الناشئة والشباب البالغين والراشدين ، والدعاة والموجهين ، والعلماء والمعلمين ، وقد اجتمعوا على مرضاة الله تعالىٰ ، فينمو في نفوسهم الشعور بالولاء للأمة والمجتمع ، ويرشفون من معين أخلاقهم وسلوكهم ، ويحاكونهم في أعمالهم وتصرفاتهم ، ويقتدون بهم في طاعتهم وعبادتهم ، ويتبادلون معهم الكلام الطيب ، والنصح البالغ ، والإرشاد السليم ، بالإضافة إلى استماع الدروس والخطب والمواعظ ، وتلاوة القرآن الكريم ودراسة الحديث الشريف ، وغير ذلك .

كما أمر الإسلام بوجوب التعاون بين أفراد المجتمع على الخير والبر ، والإعراض عن الفساد والمفسدين ، فقال تعالىٰ : ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ [المائدة : ٢] . كما شرع الدين الحكيم النصرة والموالاة في جوانب متعددة في الحياة ، ومنها المسؤولية المالية الجماعية على العاقلة في الدية وغيرها .

وبيَّن الرسول الكريم إحدى صفات الصحابة التي تميزهم

عن غيرهم أنهم يرون على الخير أعواناً وأنصاراً ، فيدفعهم ذلك إلى الإقبال والحماس ، والتضحية في سبيل الخير ، والنفع العام .

وباختصار يجب أن تكون المؤسسات العامة ، وأجهزة الإعلام ، ووسائل التربية والدعاية والتوجيه ، ملتزمة بالآداب الإسلامية ، ومصدر إشعاع للقيم الدينية ، وأن تمتنع عن نشر الفساد والرذائل ، والمنكرات والفواحش بجميع أنواعها ووسائلها ومفاتنها وشرورها والطرق الموصلة إليها ، وأن يكون المجتمع يمثل السياج الرصين الذي يحيط بالناس ليحفظ مصادر الخير ، ومنابع الفضيلة ، ويمنع عنهم رياح الانحراف ، وتيارات المضار ، وأن يكون المجتمع مظلة واقية داخلياً وخارجياً .

خامساً : مسؤولية المدرسة عن التربية :

المدرسة هي الجهة الثالثة الرسمية في شؤون التربية ، ولا تقل أهميتها عن البيت والمجتمع ، وإن كانت هذه الأهمية تتفاوت نسبتها باختلاف الزمان والمكان والعوامل الحضارية الأخرى .

ويجب بادىء ذي بدء أن تلتزم المدرسة بالتوجيه العام

الذي يلتقي مع توجيه المجتمع وثقافته ، وتربية البيت والأسرة والأبوين ، لتؤدي المدرسة وظيفتها التربوية ، وتحقق أهدافها المرسومة ، وتشارك في المسؤولية العامة في إعداد الإنسان الصالح ، وإنشاء الأجيال الصاعدة ، وبناء الفرد السليم في عقيدته وسلوكه .

وتؤدي المدرسة واجبها المقدس عن طريق المناهج والكتب والمعلمين .

١ـ أما المناهج فيجب أن تكون جادة وبناءة ، وسليمة وهادفة لتلقيح عقول الناشئة بما ينفعهم في دينهم ودنياهم ، وبما يكون منهم الإنسان القويم ، والمواطن الصالح لنفسه وأمته ودينه ومجتمعه ووطنه ، وهذا ما يهدف إليه الإسلام ، ويدعو إليه القرآن ، ويرشد إليه الرسول الكريم ، ولذلك يجب أن تكون المناهج مستمدة من كتاب الله تعالىٰ ، وسنة رسول الله ﷺ ، وتراث السلف الصالح والعلماء المسلمين الذين حملوا مشعل النور عدة قرون ، مع الاستفادة مما تنتجه قرائح المصلحين المعاصرين من أبناء جلدتنا ، ومن سائر أنحاء العالم ، مما يثبت نفعه ، ويعم خيره ، ويتفق مع كتاب ربنا وسنة نبينا ومبادىء ديننا .

ويجب أن تهدف المناهج إلى إنشاء جيل مؤمن بالله تعالىٰ ، موقن بلقاه ، محب لرسول الله ، متأس بسيرته معتز بالإسلام ومبادئه ورجاله وقادته وتاريخه ، عارف بواجباته نحو نفسه وربه ومجتمعه وأمته ، يحس بمسؤوليته في الحياة ، ويدرك وظيفته في الكون ، يعمل للدنيا والآخرة ، ويجمع بين العبادة والعلم والعمل ، يحمل نور الإيمان والعقيدة ، ومصباح الشريعة ، وضياء العقل ، وحكمة الرأي ، وسداد الفكر ، واتقاد الذهن ، ليكون شعلة وضاءة لنفسه وأسرته وأمته ، يزيل عنها العثرات من طريقها ، ويدفع عنها أوضارها ، ولا يثقلها بشقائه وهمومه .

٢ـ أما الكتب فيجب أن تكون صحيحة علمياً ، وهادفة تربوياً ، ومؤثرة سلوكياً ، ومرغبة للصحبة والمطالعة والدراسة ، ومرجعاً للعلم في البيت والطريق ، والمدرسة ، ومحببة للطفل والتلميذ والطالب ، ومشوقة في الشكل والمضمون ، وأن تكون محققة ومصورة للمناهج المقررة ، ومبنية على الأسس التربوية والأساليب العصرية في الوسائل والغايات .

٣ـ وأما المعلم أو المدرس فهو حجر الزاوية في التربية

والتعليم والدعوة ، وهو أول وسيلة تعليمية لتحقيق الأهداف والمبادىء التي يؤمن بها ، وتسعى الأمة للوصول إليها ، وتعلق على المعلم الآمال في التوعية والتوجيه والتقويم ، ويتوقف على كفاءته إعداد الجيل وتربية الشباب علمياً وسلوكياً ، وأخلاقياً ، كما يتوقف على المعلم إمكانية تطبيق المبادىء التي تنشدها العقيدة ، وتبليغ الأحكام التي يدعو إليها الدين الحنيف .

والمعلم هو المصدر الإشعاعي الوحيد تقريباً لإنقاذ الطلاب والشباب والجيل بأكمله مما يتردى فيه من الرذيلة ، وإخراجه من الظلمات إلى النور ، وحفظه من الفساد والانحراف ، ورده إلى شريعة خالقه عز وجل ، تحقيقاً لقوله تعالىٰ : ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [إبراهيم : ١] .

وتظهر أهمية المعلم في شخصيته وسلوكه وأثره على نفوس الأطفال والطلاب الذين يتأثرون به تأثراً عظيماً ، وكثيراً ما يتقمص الطالب شخصية أحد المعلمين الذي يعجب به في كل تصرفاته وأخلاقه وفكره وسلوكه ، وخاصة في المراحل الابتدائية ثم الاعدادية والثانوية .

ولذلك يتصف المعلم بأنه حامل فكرة ودعوة ، يسعى إليها ، ويبحث عن وسائلها الجدية ، وينشد تحصيلها والوصول إليها ، ويجب عليه أن يتصف بكل صفات الداعية من صبر وحلم وأخلاق وتفان في العمل ، وتوكل على الله تعالى ، وقدوته المثلى في ذلك هي الأنبياء والرسل ، وخاصة الرسول الكريم ، الذي قال الله تعالىٰ فيه : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب : ٢١] . فيكون الرسول ﷺ إماماً للمعلمين ، ومرشداً لهم ، وهادياً لعملهم وعلمهم ، وتكون سيرته نبراساً لهم في طريق الدعوة ، وقدوة نيرة يقتبسون من معينه ، ويرشفون من حوضه ، ليرثوا من رسول الله ﷺ علم الشريعة وأخلاق الإسلام ، وتربية القرآن ، ومنهج الرحمن ، وبذلك يصبح المعلم مرآة صافية يأخذ نوره من رسول الله ﷺ ثم يعكسه إلى الأمة والمجتمع ، وقد جاء في الحديث الشريف : « العلماء ورثة الأنبياء »[1] .

ويجب على المعلمين أن يضحوا في سبيل الواجب المقدس الذي أُنيط بهم ، وأن يصبروا على عملهم ، فلا

---

(١) رواه أحمد وأصحاب السنن الأربعة وغيرهم عن أبي الدرداء مرفوعاً مع زيادة (كشف الخفا ٢/ ٨٣) .

ييأسوا أو يقنطوا إذا واجههم العناد والإصرار ، أو الإيذاء والاضطهاد والنكران ، بل عليهم الصبر واحتساب الأجر عند الله تعالىٰ .

كما يتصف المعلم بأنه الأنموذج لغيره في سلوكه وتفكيره ووجدانه ، وكما كان رسول الله ﷺ هو القدوة والأسوة للمؤمنين ، فينبغي على هذا المعلم أو المدرس أن يكون قدوة وأسوة مثالية للطلاب وأبناء المجتمع في المدرسة والمسجد وجوانب الحياة المختلفة .

وما أسرع الاقناع وأجدى العمل بالمبدأ إذا طبّقه صاحبه على نفسه أولاً ، ثم دعا إليه الناس بعد ذلك ، وكم من أسوة استطاعت الاصلاح بمجرد التأسي؟ وكم من فعل أغنى عن البيان والإيضاح والتفسير؟ وإن المسلمين اليوم بحاجة ماسة إلى الأسوة الحسنة التي تشق الطريق أمامهم ، أكثر من حاجتهم للوعظ والكلام ، ولنا ـ نحن المسلمين ـ برسول الله ﷺ المثل الأعلى ، والأسوة الحسنة ، فلنحسن التأسي لنوفق إلى أداء الواجب ، ولتؤتي جهودنا ثمراتها اليانعة بإذن الله ، وقد آمن كثير من الناس بالإسلام لما رأوا من أخلاق الرسول ﷺ وحسن سلوكه ومعاملاته ، وكذلك انتشر

الإسلام في افريقيا وجنوب شرقي آسيا من غير دعاة ، أو فتوحات ، وإنما كان ذلك عن طريق التجار المسلمين الذين تجولوا في تلك البلاد ، وهم يحملون الإسلام في جنباتهم وسلوكهم ومعاملاتهم وأخلاقهم ، مما جذب سكان هذه البلاد إلى اعتناق الإسلام .

وما أبشع الداعي إلى فكرة ، وهو يخالفها في حياته ، ويناقضها في سلوكه ، وهو ما أكده القرآن الكريم والسنة النبوية وسيرة السلف الصالح ، وصاغ معانيه أبو الأسود الدؤلي فقال :

يـا أيُّهـا الـرجـلُ المعلـمُ غيـرَهُ ... هـلاّ لنفسـكَ كـانَ ذا التعليـمُ
تصفُ الدواءَ لذي السقامِ وذي الضنا ... كيمـا يصـحُّ بـه وأنـت سقيـمُ
لاتنـهَ عـن خلـقٍ وتـأتـي مثلَـهُ ... عـارٌ عليـكَ إذا فعلـتَ عظيـمُ
ابـدأ بنفسـكَ فـانهها عـن غيِّهـا ... فـإذا انتهيـت إذن فـأنـتَ حكيـمُ
فهناكَ يُقبلُ ما وعظتَ ويُقتدى ... بـالعلـمِ منـك وينفـعُ التعليـمُ

وإن المبادىء والقيم والآمال التي تتطلع إليها الأمة تقع على عاتق المعلمين ، وأنهم بالتالي مسؤولون عن تبليغها كما وصلتنا جيلاً عن جيل ، وإن الأجيال الحاضرة والمستقبلة في

أعناق المعلمين والمدرسين والدعاة إلى الله تعالىٰ ، وخاصة في هذه الظروف العصيبة التي تتقاذفها الأفكار المنحرفة ، والمبادىء الدخيلة ، والأنظمة المستوردة ، والموجات الإلحادية ، والغزو الفكري الساحق ، ويقع على المعلمين عبء الإصلاح والتقويم والإقناع الحكيم ، والتوجيه السديد ، وإلا أصبحوا مسؤولين عن عملهم في الدنيا وأمام الأجيال وفي سجل التاريخ ، كما يتحملون الآثار الأشد يوم القيامة ، ويتعرضون لسؤال العزيز الجبار ، ويحل عليهم غضبه وعذابه ، يوم لا يغني والد عن ولده .

وإن مسؤولية المعلمين والمدرسين في هذا الخصوص لا تقل عن مسؤولية الآباء والأمهات ، وإن التلاميذ والطلاب في المدرسة أمانة في أعناقهم ، وإن الأهل والمجتمع والدولة قد أعطتهم مقاليد الأمور في تربية الجيل ، ليقوموا بالتأديب والتوجيه والتعليم والتهذيب نحو الخير والأفضل ، وليحافظوا على الناشئة ، وليؤدوا حقها عليهم ، ويقوموا بحراستها ، ويرعوا شؤونها ، ويؤمنوا الحماية لها من اغتيال العملاء والأعداء ، ثم يردوهم إلى أهلهم سالمين ، وربنا سبحانه وتعالىٰ يقول : ﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾

[النساء : ٥٨] . ويقول تعالىٰ : ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَـٰنَتَهُۥ ﴾ [البقرة : ٢٨٣] .

وإن الأطفال والتلاميذ والطلاب والشباب كالغراس والأشجار بين يدي المعلم ، فإن أمَّنَ رعايتها والعناية بها آتت أكلها ، وتحققت النتائج المرجوة منها ، وأينعت ثم أثمرت ، وإن أهملها وتخلى عنها ، وقصر بالمحافظة عليها ، كانت النتائج سيئة وفاسدة ، وأعطت عكس المطلوب .

وإن المعلم أو المدرس يستأثر بالطفل والطالب فترة لابأس بها ، وينفرد بهم مدة طويلة ، وهم بين يديه للتربية والتعليم[1] .

وكان أول عمل للأنبياء هداية الناس ثم تعليم الأمة والأفراد ما يحقق لهم الصلاح والفلاح في الدنيا والآخرة ، مع تربية النفوس بالمثل والشمائل ، وتنمية الفضائل والمآثر ، ويأتي المعلم أو المدرس ليقوم بعمل الأنبياء والمرسلين ، وليكون المعلم وارث الأنبياء ، وقائماً مقامهم في الدعوة للخير ، والعمل لله ، وحمل الشريعة الإلهية ، أو حمل مشعل النور والإيمان والهدى ، لينقله للناس ، ويرشدهم إلى صراط الله المستقيم ، ولذلك كانت المهمة عظيمة ، والأمانة

---

(١) انظر : طرق تدريس التربية الإسلامية ، ص٢٤٤ وما بعدها .

خطيرة ، والمسؤولية على المعلم جسيمة .

وهذا يوجب الاهتمام بالمعلمين والمدرسين ، لمنحهم المكانة العليا التي يستحقونا ، كما هو الشأن في بعض الدول الأوربية ، كما يجب إعداد المعلمين إعداداً صحيحاً وقوياً وكافياً ، بأن تفتح لهم المدراس والمعاهد والكليات لإعداد الدعاة العاملين ، وتخريج المعلمين الأكفياء ، وتهيئة المدرسين الثقات ، كما يجب أن تقام لهم باستمرار الدورات التدريبية والتثقيفية ، وأن تعقد لهم المؤتمرات ، وتنظم لهم المعسكرات والندوات للتذاكر والتشاور والتغذية الروحية ، وتقويم الأعمال السابقة ، والتجارب المطبقة ، وشحذ الهمم للأمام ، ووضع الخطط الحكيمة للمستقبل ، والله لا يضيع عمل عامل في الدنيا والآخرة ، ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره .

سادساً : رعاية الشباب في الإسلام :

إن أحكام الإسلام ومنهجه السابق في التربية والتعليم يشمل الأطفال والمراهقين والشباب والكهول والشيوخ ، ويمكن تطبيقه في المدارس على التلاميذ وطلاب المراحل

الإعدادية والثانوية والجامعة ، ويستعان به في البيت على جميع أفراد الأسرة من الذكور والإناث ، الصغار والكبار .

أما من الناحية الواقعية فالأمر فيه تفصيل ، فمتى انتهت مرحلة الطفولة ، وأنجز الآباء والأمهات وظيفتهم في التربية والإعداد والتوجيه ، وبلغ الطفل أشدَّه ، واستوى على سوقه ، ونضج جسمه وعقله ، وصار شاباً قوياً ، ورجلاً سوياً ، توزعت مسؤولية التربية بشأنه ، فيبقى القليل على الآباء والأمهات في متابعة مسيرة التربية على النهج السابق ، مع مراعاة الحالة القائمة ، وتشارك المدرسة والمعلمون والمجتمع قسطاً وفيراً ، ويتحمل الشاب نفسه القسط الأكبر من المسؤولية أمام الله تعالى ، وأمام المجتمع والأمة ، لذلك أولى الإسلام الرعاية الكاملة للشباب ، وتوّجه إليهم مباشرة ، وليس عن طريق الوالدين ، ليحملهم المسؤولية بأنفسهم ، وبيَّن لهم بعض الأحكام الخاصة بهم ، وأرشدهم إلى الخير والفضيلة ، وأخذ بيدهم إلى مسالك النور وحذرهم من شر الشيطان وشركه ، شياطين الإنس والجن ، وكشف لهم الثغرات الخطيرة التي تتعرض لهم في الانحراف والفساد ، وأهمها الغرائز والشهوات .

لذلك نفرد جانباً خاصاً بالشباب ، لنسلط الضوء على أهمية هذه المرحلة ، ومدى رعاية الإسلام للشباب ، وبيان الأحكام الخاصة بهم ، بما يتناسب مع تكوينهم الجسمي والنفسي والفطري والعقلي .

١ـ تكوين الشباب الفطري :

يمر الإنسان في أطوار حياته بعدة مراحل ، وكل مرحلة لها صفاتها وخصائصها وميزاتها ، ويختص الشباب بالخصائص التالية :

أ ـ الطاقة الجسمية : تعتبر مرحلة الشباب في الإنسان في أوج قوتها ، فيحمل الشباب طاقة جسدية هائلة ، ويتمتعون بقدرات جبارة ، ويمكن للشاب أن يوجه هذه الطاقة والقدرات نحو الخير ، فتؤتي أكلها ، وتنفع صاحبها ، وتفيد الأمة ، وتحقق الإنجازات العظيمة ، وهنا نعتبر مرحلة الشباب مرحلة بناء للفرد والمجتمع ، وهذا ما تصبو إليه الشعوب ، وتحاول الوصول إليه ، كما يمكن أن يوجه الشاب هذه الطاقة نحو الشر والانحراف ، فيضل ويُضل ، ويشقى ويتعس ، ويطغى على غيره بلا حدود ، ويردي نفسه في

المهالك ، ويلحق الأذى والضرر بمن حوله ، وهذا ما تخشى منه الأمم والشعوب ، وتخطط لإحباطه ، والتخفيف منه ، ومنعه ما أمكن .

ب ـ **الطاقة الجنسية والعاطفية** : كما يصل الإنسان في مرحلة الشباب إلى ذروة طاقته الجنسية والعاطفية ، وتعتبر مرحلة الشباب من أخطر المراحل في حياة الإنسان من هذا الجانب ، لأن العواطف والغرائز والشهوات تبلغ أوجها ، وإن إفرازات الجسم التي تحرك هذه العواطف والغرائز والشهوات نشيطة جداً ، بينما لا يزال النمو العقلي والفكري في منتصف الطريق ، ولذلك يخشى على الشباب من التردي في هاوية الفواحش والرذائل والمنكرات ، والسقوط في أحضان الفساد ، فيكبو كبوة خطيرة قد لا ينجو منها ، وتؤثر على مستقبل حياته كلها .

جـ ـ **الناحية الفكرية** : يتصف الشباب في هذه المرحلة بمجموعة من التطلعات والآمال الكبيرة ، والأحلام العريضة ، وللشباب حيوية ونشاط وجموح في عمله ، لذلك كانت مرحلة الشباب أهم مراحل التعليم وأخطرها ، وأنها أهم مرحلة للجمع والتحصيل العلمي ، واكتساب المعارف

والخبرات ، لكن تنقص الشباب الخبرة العملية ، والتجربة الواقعية ، والإدراك العميق الذي يمتاز به الكهول ، لذا كانت الحاجة ماسة إلى التعاون بين الشباب بحيويتهم وفعاليتهم وبين الكهول والشيوخ بخبرتهم وتجاربهم ، وحكمتهم وحنكتهم ، وفكرهم وعقلهم . ولابد من الأخذ بيد الشباب في هذه الحالة بحنان الأب ، ورفق المربي ، وحكمة العاقل ، ودراية الحكيم ، مع اللباقة والذكاء لإرشاد الشباب نحو الخير ، وتوجيههم نحو الفضيلة ، والسعي معهم إلى المبرات ، وكبح جماحهم من التهور ، والتنبيه عليهم من المزالق الخطرة ، والزوايا الموبوءة ، والأخطار المتوقعة ، والشباك المنصوبة ، والمؤامرات المحبوكة ، ليتجنبوا مخاطرها ، ويحذروا المساس بها ، ويستفيدوا من تجارب غيرهم ، فالعاقل من اتعظ بغيره .

د ـ **الناحية النفسية** : يرافق مرحلة الشباب عدة مظاهر تسيطر على حياة الشاب ، وتميزه عن غيره ، وهي سلاح ذو حدين ، فمن ذلك الكبرياء والغرور والزهو وحب الظهور ، وحب الاستقلال ، والاعتماد على النفس ، فيميل أحياناً إلى مخالفة التقاليد والعادات المألوفة ، ويحاول الخروج على

المجتمع لإبراز شخصيته ، وتأكيد وجوده ، ولفت النظر إليه ، كما يظهر على الشاب حب المرح واللهو وعدم المبالاة بعواقب الأمور ، ويميل الشاب إلى ممارسة القوة المادية ، مع الضحالة العلمية ، والسطحية في معرفة الحقائق ، لذلك يجب على الكبار رعاية الشباب ، والأخذ بيدهم برفق وحنان ، وتقديم النصح والتوجيه لهم ، دون أن تمسَّ مشاعرهم بأذى ، أو تخدش عواطفهم بشيء .

٢ـ الأحكام الشرعية الخاصة بالشباب :

بيَّن الإسلام بعض الأحكام الخاصة بالشباب ، رعاية لأحوالهم ، واهتماماً بشأنهم ، وإرشاداً لهم ، ووضع أمامهم بعض الحلول العملية في الحياة ، وفتح لهم بعض الطرق القويمة للسلوك ، وأخذ بيدهم نحو الرشاد لتأمين مصالحهم الذاتية ، وتحقيق السعادة والفلاح لهم ولذويهم ولأمتهم في الدنيا والآخرة ، فمن ذلك :

أ ـ الشباب والعبادة : أراد الإسلام توجيه الشباب إلى عبادة الله تعالىٰ ، لأنها الهدف الأساسي أصلاً من خلق الإنسان : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] . ولأن

العبادة تحقيق عملي للعقيدة الإسلامية ، وبرهان على صدقها ، ورسوخها في القلب ، كما أن العبادات مدد للإيمان ، وتغذية له ، وتنمية لجذوره ، لأن الإيمان يزيد وينقص ، فيزداد قوة وثباتاً بالعبادة والطاعة ، وينقص ويتضاءل ويخبو بالمعصية والمخالفة ، والعبادة أهم السبل وأجداها لنفوذ أشعة النور والهدى إلى قلب المؤمن ، فيرى الخير خيراً فيلتزم به ، ويرى الشر شراً فيجتنبه ، ويبتعد عنه ، ويحذر غيره منه ، فتكون العبادة وسيلة ناجحة لصلاح المسلم عامة ، والشباب خاصة ، وحمايتهم من الزيغ والانحراف في الفكر والسلوك ، كما أنَّ العبادات تنهض بالهمم ، وتعوِّد الصبر وتحمل الشدائد ، قال تعالىٰ : ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة : ٤٥] . وكان رسول الله ﷺ إذا حزَّبه أمر فزع إلى الصلاة ، وقال : « أرحنا بها يا بلال »[1] .

والعبادات ذات أثر اجتماعي خطير ، لأنها تزيد في تمتين

---

(١) رواه أبو داود وأحمد عن رجل من الصحابة مرفوعاً ، (الفتح الكبير ٢/ ٣٥١) .

الروابط الاجتماعية ، كالتعاون والتضامن والمحبة والتعاطف والتكاتف والتكافل وحسن المعاملة وسمو الأخلاق ، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، والزكاة تزكية للنفس وتطهير لها ، ولا رفث في الحج ولا فسوق ، والصيام دورة تدريبية على حفظ اللسان والشعور بالآخرين والإحساس بالمعوزين والفقراء ، كما أن العبادات توجه الطاقة نحو مرضاة الله تعالىٰ في الخير والمصالح العامة ، وتبعد صاحبها عن المحارم والضرر للفرد والجماعة .

وقد وجه الإسلام الشباب نحو الطاعة والعبادة ليعصم الشباب والفتيات في هذه المرحلة الخطيرة ـ جسمياً وفكرياً ونفسياً ووجدانياً ـ عن الانزلاق في مهاوي الرذيلة والفساد ، وتمنعهم من الانجراف في تيارات الفسق والفجور التي تتوفر دواعيها الذاتية عندهم ، كما تحجزهم عن أماكن السوء التي يرتادها معظم شباب هذا العصر ، فيضيِّعون فيها الوقت والقوة ، والعمر والشباب ، ويهدرون الأموال ، ويعبثون بالأخلاق ، ويغفلون عن العقيدة ومراقبة الله والواجبات ، ويرتمون في أحضان الشهوات الجسدية ، والملذات المادية ، ولا يخافون إلاّ ولا ذمّة ، ولا يرعون شرفاً

ولا خُلُقاً ، ولا يبالون بنصح أو وعظ ، ولا يدركون مخاطر المستقبل في الدنيا ، وما يجره الانحراف والشطط والمغالاة من ويلات عند تقدم السن ، ولا يتذكرون وعيد الله في الآخرة ، ولا يستيقظون من سباتهم إلا بعد فوات الأوان ، وضياع كل شيء ، بينما يتوجه الشاب العابد إلى مرضاة ربه ، لذلك خصه رسول الله ﷺ مع الأصناف الخاصة في قوله عليه الصلاة والسلام : « سبعة يظلهم الله في ظله ، يوم لا ظلَ إلا ظله : الإمام العادل ، وشاب نشأ بعبادة الله تعالىٰ ، ورجل قلبه معلق في المساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه ، وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال ، فقال : إني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقةٍ فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه »[1] ، ولأن عبادة الشاب أشق من عبادة غيره ، لغلبة شهوته عليه ، وكثرة الدواعي لانحرافه ، فملازمته للعبادة أدل على غلبة التقوى .

---

(١) رواه البخاري ومسلم ومالك وأحمد والترمذي والنسائي عن عدد من الصحابة (فيض القدير ٤/ ٨٨) .

وإن العبادة تطهر النفس من وساوسها وآثامها ، وتدعم الصلة الوثيقة بين القلب وخالقه ، فالنفس البشرية عامة ، والشباب خاصة ، يميلون إلى اقتراف المعاصي وتحقيق النزوات ، فتأتي العبادات لتهذيب النفس ، وتنظيم الرغبات ، وتفريغ الطاقات في المكان المعدّ لها شرعاً ، قال رسول الله ﷺ : « أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات ، هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا : لا يبقى من درنه شيء ، قال : ذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا »[1] .

وقال رسول الله ﷺ : « من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه »[2] ، وقال عليه الصلاة والسلام : « الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة »[3] .

---

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه ، (نزهة المتقين ٢/ ٧٧٢) .

(٢) رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن الأربعة وأحمد ، (فيض القدير ٦/ ١٦٠) .

(٣) رواه الإمام أحمد عن جابر ، ورواه الطبراني عن ابن عباس مرفوعاً ، (فيض القدير ٣/ ٤٠٦) .

والعبادة تنظم للشاب حياته تنظيماً دقيقاً ، وتوجه فكره للخضوع والطاعة لألوهية الخالق جل وعلا ، وهي نظام تربوي سماوي تساعد الشاب على الاستفادة من وقته وطاقته ، لتحقيق آماله ومثله العليا ، ومطامحه في الحياة ، وخاصة إذا علمنا أن مكان العبادة هو المسجد ، الذي يلوذ به المؤمن ، ويأنس به المسلم ، وتقر به العين ، وهو طريق دخول الجنة .

والمسجد هو مدرسة الإسلام الأولى الذي انطلق منه نور الإيمان والعلم ، وخرجت منه كتائب الجهاد والدعوة ، فإذا تعلق الشاب بالمسجد تحدد قصده ، وأمن اتجاهه ، وتوفر له النور ليسير على طريق الهدى ، وهذا ما أكده رسول الله ﷺ فقال : « إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان »[1] .

وإن الشاب المؤمن الذي تعلق بربه ، وخالط الإيمان شغاف قلبه ، ونشأ في طاعته ، وترعرع في عبادته ، إن هذا الشاب يباهي الله به ملائكته ، لأنه غلب عقله على هواه ،

---

(١) رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم والبيهقي عن أبي سعيد مرفوعاً ، (فيض القدير ١/ ٣٥٧) .

وسيطر إيمانه على شهواته ، وسلك الطريق المستقيم الذي يحبه الله ويرضاه ، صراط الله الذي أنعمه على عباده بالهداية والرشاد ، ومتى تربى الشاب على هذا المنهج الإلهي منذ الصغر فسوف يستمر عليه كذلك في الكبر ، لأن المرء يشيب على ما شبَّ عليه .

ومن جهة أخرى فإن منهج العبادة في الإسلام يحفظ الشباب في طاقتهم وقوتهم وحيوتهم ، ويصونهم عن ارتياد الأماكن المشبوهة ، والبؤر الفاسدة ، كما يحميهم من التيارات الفاسدة ، الفكرية والجنسية التي توجه إلى الشباب ، وتنصب لهم الشباك لاصطيادهم ، وإيقاعهم في شراكها ، وتؤجج فيهم نار الجنس ، وأهواء الخيال ، وشطحات التأمل ، لتبعدهم عن الواقع ، وتبدد طاقاتهم ، وتقتل الوقت عندهم .

ولذلك أراد الإسلام أن يضع الآباء والأمهات والمعلمين والمدرسين ووسائل الإعلام أمام مسؤولياتهم في تربية الأولاد ، وتنشئة الجيل الصاعد ، ورعاية الشباب ، وأمر بتوجيه الأولاد والشباب نحو العبادة ، وأشار القرآن الكريم إلى أهمية الإيمان والعبادة للشباب ، فأثنى عليهم بقوله تعالىٰ

واصفاً أهل الكهف : ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾

[الكهف : ١٣]

وإذا توفر عنصر العبادة للشباب تحققت آماله ، وللأمة أهدافها ، يقول رسول الله ﷺ : « وما تقرب إليَّ عبدي بأفضل ممّا افترضته عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي عليها ، ولأن سألني لأعطينه ، ولأن استعاذني لأعيذنه »[1] .

فالشاب العابد يسمع بسمع الله ، ويبصر بنور الله ، ويضرب بجبروت الله ، فتتحقق على يديه الآمال الجسام ، فإن توجه للعلم كان مبرزاً ، كما نرى في الشباب المسلم في المدارس والجامعات ، وإذا جاهد وقاتل كان في طلائع الزحف ، ومقدمة الركب ، وإذا عمل كان موفقاً وناجحاً في عمله وتجارته ، ومحبوباً من ربه وزملائه وبني جنسه .

---

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة ، وأوله : « من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب » (الفتح الكبير ١/٣٣٨ ، جامع العلوم والحكم ص٣١٣) .

ب ـ **الزواج للشباب** : ونظراً للنضوج الجنسي الكامل في الشاب ، والقوة المتوقدة فيه ، والطاقة المختزنة لديه ، فقد أراد الإسلام أن تصرف هذه الطاقة في الطريق المباح ، والوسائب المشروعة ، وبما تعود بالنفع على الفرد والمجتمع والأمة ، فإن تعذر الزواج على الشاب فقد أرشده الإسلام إلى ما يصون به قوته وطاقته ، ويحتفظ بها إلى الوقت المناسب ، وألا يضيعها هدراً ، أو يتجه بها نحو الحرام والانحدار والهاوية التي لا يعرف مداها ، ولا يضمن نتائجها ، ولا يدرك مفاسدها ، ولا يتحكم في الوقوف بها ، أو التراجع عنها ، فقال عليه الصلاة والسلام : « يا معشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فإنه له وجاء »[1] .

وجعل الإسلام هذا الحكم الشرعي ليس واجباً على الشباب والفتيات فحسب ، بل جعله واجباً على الآباء والأمهات ، فقال عليه الصلاة والسلام : « حق الولد على

---

(١) رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن الأربعة وأحمد عن ابن مسعود مرفوعاً ، (الفتح الكبير ٣/ ٤٠٢) .

الوالد أن يحسن اسمه وأدبه ، وأن يزوجه إذا بلغ »[1] ، كما أرشد الإسلام الوالدين إلى الطريق الصواب في تزويج أولادهم وبناتهم ، فقال عليهم الصلاة والسلام : « إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه ، إن لم تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير »[2] ، وقال عليه الصلاة والسلام : « تنكح المرأةُ لأربع ، لجمالها ومالها ونسبها ودينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك »[3] .

جـ ـ **القيادة العسكرية** : حرص الإسلام على الاستفادة من الشباب في كل جانب في الحياة ، وبما يوجه طاقتهم الهائلة نحو الخير والفضيلة والمصالح العامة ، لذلك يعتبر الشباب عدة الأمة ، وقوة جيشها ، وحصن كرامتها ، ومبعث عزتها ،

---

(١) رواه البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنه ، ورواه غيره بألفاظ متعددة (الفتح الكبير ٢/ ٧٤) .

(٢) رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم عن أبي هريرة ، ورواه ابن عدي في الكامل عن ابن عمر ، (الفتح الكبير ١/ ٦٥) .

(٣) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة مرفوعاً ، (الفتح الكبير ٢/ ٣٨) . وانظر : الترغيب والترهيب ٣/ ٤٥) .

وأهم سلاح عندهم ، وهذا ما أرشد إليه الرسول الكريم قولاً وعملاً ، فكان أكثر صحابته من الشباب ، لأن عقولهم نظيفة ، وقلوبهم متفتحة ، وليس فيها الأفكار المترسبة ، والتقاليد البالية ، والأفئدة المتحجرة ، والقيم النتنة ، فكانوا أسرع قبولاً للإيمان والإسلام ، وأكثر تقبلاً للدين الحق ، وأكثر حماساً لنشره والتضحية في سبيله وتحمل الأذى بسببه .

وقد عرف رسول الله ﷺ حقيقة الشباب وواقعهم وتطلعهم ، فاعتمد عليهم في الجهاد ونشر الدعوة وخوض المعارك والغزوات ، وأرسلهم في السرايا ورصد الأعداء ، وعينهم قادة للجيوش التي فيها كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار ، من ذلك تعيين أسامة بن زيد قائداً للجيش الذي وجهه الرسول ﷺ قبيل وفاته إلى الشام ، وفيه عمر بن الخطاب وغيره ، وتكليفه مصعب بن عمير بشؤون الدعوة في المدينة قبل الهجرة إليها ، وتعيينه عتاب بن أسيد والياً وقاضياً على مكة المكرمة بعد فتحها ، وإرساله معاذ بن جبل وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما قاضيين إلى اليمن ، وهما في ريعان الشباب ، كما اعتمد على زيد بن ثابت وهو في مقتبل شبابه ، وأخذ رسول الله ﷺ بآراء الشباب ، ونزل

عند مشورتهم في غزوة أحد فكشف عن قلوب المنافقين ، ومن يتحرك في نفسه كوامن النفاق ، فاعترضوا على الخروج بأن الرسول سمع آراء أحداث السن دونهم .

د ـ **اغتنام مرحلة الشباب** : تعتبر مرحلة الشباب من أهم مراحل حياة الإنسان وأخطرها ، ويمتلك الشباب قوة هائلة ، وطاقة عظيمة يجب حفظها وصيانتها ، كما يحرم إهدارها وتضييعها ، لذلك أراد الإسلام أن تستغل هذه الطاقة والقوة نحو الخير والطاعة والعبادة والانتاج وتحصيل العلوم ، واقتناص الفرص بما يعود بالنفع عليهم في الحاضر والمستقبل ، وعلى أمتهم ومجتمعهم ، وأن الشباب يمثل جانباً من عمر الإنسان لا يمكن تعويضه أو العودة إليه متى فات ، لذلك أرشدنا الرسول الكريم إليه ، فقال عليه الصلاة والسلام : « اغتنم خمساً قبل خمس : حياتك قبل موتك ، وصحتك قبل سقمك ، وفراغك قبل شغلك ، وشبابك قبل هرمك ، وغناك قبل فقرك »[1] ، وإن هذا التوجيه الحكيم

---

(١) رواه الحاكم والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس، ورواه أحمد في الزهد ، (الفتح الكبير ١/ ٢٠٣) .
وروى الترمذي والبزار والطبراني عن أبي بردة أن =

يدفع العاقل إلى اغتنام شبابه ليحصن نفسه للمستقبل ، وليستفيد مما وهبه الله إياه من نعم ، وخاصة في مجال الدعوة والعمل في مرضاة الله ، لأن طريق الدعوة محفوف بالمخاطر ، وأنه ليس سهلاً أو ممهداً ، بل يحتاج إلى التضحية والفداء ، والصبر والجهاد ، والبذل والشهادة ، والعطاء وتحمل الأعباء ، والشباب هم أقدر الناس على هذه الأمور ، وهذا ما كلفهم به الرسول الكريم في الدعوة ، وهو ما تحمله شباب هذه الأمة على مر التاريخ ، فهم فداء الوطن وشعلة التضحية .

ومن صان نفسه في شبابه وجد أثر ذلك في هرمه وشيخوخته ، ومن ثمَّ في آخرته وعند ربه .

ومن اشتغل في شبابه بالمحرمات ، وانغمس في الشهوات ، فقد أردى نفسه في المهالك ، وضيَّع وقته وعمره ، وأطفأ نوره بيده ، وجلب الوهن إلى جسمه ،

= رسول الله ﷺ قال : « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيم أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل به » (سنن الترمذي ٧/ ١٠٠ ، الفتح الكبير ٣/ ٣٢٢) .

فيكون مستقبله وخيماً ، وانتاجه ضعيفاً ، ولا يلومن إلا نفسه ، وسوف يلقى عذاب الله في الآخرة ، وهو أشد وأنكى .

٣ـ العلاقة بين الشباب والكبار :

حرص الإسلام على بناء المجتمع القوي المتكافل ، « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وترابطهم مثلُ الجسد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »[1] . وأراد أن يتم التعاون بين جميع الطبقات والفئات والأجناس والأقوام والشعوب ، وأن تكون الأيدي مجتمعة ، والقلوب معتصمة بحبل الله ، فأرشد إلى السبل الموصلة إلى ذلك ، وبين الطرق المؤدية في كل جانب ، ومن ذلك تمتين العلاقة بين الشباب والكبار ، بانضمام الجهود والطاقات إلى بعضها ، ورعاية المشاعر والظروف التي يقوم عليها كل منهما ، ومن ذلك أوجب الإسلام على الكبار أن

---

(١) رواه الإمام أحمد ومسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنه مرفوعاً ، (فيض القدير ٥/ ٥١٤) .

يرحموا صغارهم وشبابهم ، وفرض على الصغار والشباب أن يوقّروا الكبار والشيوخ ، فقال عليه الصلاة والسلام : « ليس منا من لم يوقر كبيره ، ويعطف على صغيره »[1] . وأن يتم التوجيه والتهذيب ، والتربية والتعليم من الكبار ، ليتحملوا هذه المسؤولية ، ويعدوا شبابهم لتولي القيادة والخلافة من بعدهم ، ويتجنبوا الانقسام والخلل والصراع مع أولادهم وأجيالهم القادمة ، وهو ما نلمسه في واقع الشباب اليوم مع الضياع والقلق والاضطراب والتفكك ، وما ينتج عنه من تناقض في المجتمع ، وصراع في الفكر ، وانقسام في الصفوف ، وتمزق في الشمل ، وتحلل في الأسرة ، حتى وصل التفرق إلى أفراد البيت الواحد ، فصاروا شيعاً وأحزاباً متعارضة ومتناحرة ، وصار الأخ عدواً لأخيه ، بل أصبح الابن عدواً لأبيه ، والبنت عيناً على أبويها وأهلها .

---

(١) رواه الترمذي عن أنس مرفوعاً ، (فيض القدير ٥/٣٨٨) ، وروى الترمذي أن رسول الله ﷺ قال : « ما أكرم شاب شيخاً لسنه إلا قيض الله له من يكرمه عند سنه » ، (سنن الترمذي ٦/١٦٧) ، وهذا لتحريض الشباب على إكرام الكبار واحترامهم ومساعدتهم .

وهذا يذكرنا بأهمية الالتزام بالإسلام فكراً وعقيدة ، ونظاماً وسلوكاً ، وعبادة وشريعة ، لأن تربية الشباب على الإسلام يوحد الأمة ، ويوجهها للنفع والخير ، للتعلم والبناء ، للحضارة والتقدم ، للوحدة والتعاون ، للسلاح والسعادة في الدنيا والآخرة .

٤ـ وأخيراً فإن الشباب عدة الأمة ، وأمل المستقبل ، وذخيرة الوطن ، وهم العصب الفعال في حياة الأمم ، والعضو الحيوي في بناء المستقبل ، وعليهم تعقد الآمال العظيمة فيما تصبو إليه الشعوب في تحقيق أهدافها ، والدفاع عن أرضها ، وتحرير مقدساتها ، وهم مهد الفتوة والنجدة ، وليوث الوغى ، وحماة الديار ، وهم معقد الرجاء في تحقيق الأماني عند استلامهم ريادة الأجيال القادمة ، وتولي مناصب الدولة ، واعتلاء عرش السلطة ، وتملك أبواب العلم ، والأخذ بمفاتيح المعرفة ، وحمل مشعل الدعوة والإسلام إلى الأجيال اللاحقة ليكونوا خير خلف لخير سلف .

سابعاً : الخاتمة :

ونصل في نهاية المطاف لرفع الصورة الخيالية والواقعية لعلاقة الآباء بالأطفال التي قالها الشاعر :

وإنمـــا أولادنـــا بيننـــا أكبادنا تمشي على الأرضِ

كما نصل إلى بيان موقف الإسلام من الأطفال والشباب ، ومدى حرصه على رعايتهم وتربيتهم ، تربية ربانية ، ليكونوا مؤمنين حقاً ، ومسلمين صرفاً ، ومتعلمين نوراً ، ومثقفين حقيقة ، يتجملون بالفضيلة ، ويتفاخرون بالأخلاق والعفاف ، ويتحلَّون بالشهامة والوفاء ، ويرفعون شعار الإيمان والتقوى والعمل الصالح .

وإن أطفال اليوم هم شباب الغد ، وهم رجال المستقبل ، وإن الأمانة ثقيلة على الآباء والأمهات ، وعلى المدرسة والدولة والمجتمع ، في تربية الأولاد ورعاية الشباب ، ليحملوا عبء المستقبل الجسيم ، وأن يقوموا بتغيير الواقع الجاهلي ، والفساد الاجتماعي ، والاستعمار الأجنبي ، والتناقض الرهيب الذي ترزح تحته هذه الأمة ، والله سبحانه وتعالىٰ يقول : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ ﴾ [الرعد : ١١] . ولا تصلح هذه الأمة إلا بما صلح بها

أولها ، وإن تخلى الشباب عن هذه المهمة وقع علينا وعيد الله وإنذاره : ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ﴾ [محمد : ٣٨] .

نسأل الله تعالىٰ أن يحفظ شباب الإسلام ، وأن يبارك في أبناء المسلمين ، ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان : ٧٤] . كما نسأل الله تعالىٰ أن يهدينا سبيل الرشاد ، وأن يلهمنا الهدى والسداد ، والحمد لله رب العالمين .

* * *

مصادر ومراجع الكتاب

١ـ تحفة المولود بأحكام المولود ، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (٧٥١ هـ) المطبعة الهندية العربية ـ بومباي ـ ١٣٨٠ هـ/ ١٩٦١ م .

٢ـ الترغيب والترهيب ، عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (٦٥٦ هـ) مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة ـ ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٨ م .

٣ـ تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم ، إسماعيل بن كثير الدمشقي (٧٧٤ هـ) مطبعة عيسى البابي الحلبي ـ القاهرة ـ د . ت .

٤ـ جامع العلوم والحكم ، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (٧٩٥ هـ) مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة ـ ١٣٨٢ هـ/ ١٩٦٢ م .

٥ـ رسالة المسترشدين ، الحارث بن أسد المحاسبي (٢٤٣) مكتب المطبوعات الإسلامية ـ حلب ـ ١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٣ م .

٦ـ سنن الترمذي ، عيسى بن سَوْرة (٢٧٩ هـ) مع تحفة الأحوذي ـ مطبعة المدني ـ القاهرة ـ ١٣٨٣ هـ/ ١٩٦٣ م .
٧ـ طرق تدريس التربية الإسلامية ، الدكتور محمد الزحيلي ـ المطبعة الجديدة ـ دمشق ـ ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م .
٨ـ الفتح الكبير في ضم الزيادات إلى الجامع الصغير ، يوسف النبهاني (١٣٥٠ هـ) مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر ـ ١٣٥٠ هـ .
٩ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير ، محمد ، المدعو عبد الرؤوف المناوي (١٠٣١ هـ) تصوير دار المعرفة ـ بيروت ـ ١٣٩١ هـ/ ١٩٧٢ م .
١٠ـ كشف الخفا ، إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي (١١٦٢ هـ) نشر مكتبة التراث الإسلامي ـ حلب ـ د . ت .
١١ـ نزهة المتقين شرح رياض الصالحين للنووي (٦٧٦ هـ) مجموعة أساتذة ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨ م .

* * *

المحتوى

مقدمة وتمهيد ٥
أولاً : مسؤولية الوالدين عن التربية ٨
١ـ الأولاد هبة من الله ٨
٢ـ الأولاد أمانة ١١
٣ـ تكليف الوالدين بالتربية ١٢
ثانياً : آثار مسؤولية الوالدين في التربية ١٧
ثالثاً : منهج الإسلام في تربية الأولاد ٢٢
١ـ حسن اختيار الزوجة ٢٥
٢ـ رعاية الوليد ٢٧
٣ـ رعاية الطفل من الصغر ٢٩
٤ـ البدء بالتربية من الصغر ٣٢
٥ـ التعريف بالحلال والحرام ٣٦
٦ـ ممارسة العبادات ٣٩

٧ـ إقامة الصّلات الاجتماعية ٤١
٨ـ تحفيظ القرآن ٤٤
٩ـ التسوية بين الأولاد ٤٦
١٠ـ القدوة الحسنة ٤٨
١١ـ الاعتماد على الله ٥٠
رابعاً : مسؤولية المجتمع عن التربية ٥٤
خامساً : مسؤولية المدرسة عن التربية ٦٤
سادساً : رعاية الشباب ٧٣
١ـ تكوين الشباب الفطري ٧٥
أ ـ الطاقة الجسمية ٧٥
ب ـ الطاقة الجنسية والعاطفية ٧٦
ج ـ الناحية الفكرية ٧٦
د ـ الناحية النفسية ٧٧
٢ـ الأحكام الشرعية الخاصة بالشباب ٧٨
أ ـ الشباب والعبادة ٧٨
ب ـ الزواج والشباب ٨٦
ج ـ القيادة العسكرية ٨٧
د ـ اغتنام مرحلة الشباب ٨٩

٣ـ العلاقة بين الشباب والكبار ٩١
سابعاً : الخاتمة ٩٤
المصادر والمراجع ٩٦
المحتوى ٩٩

* * *